تفسير سورة الفجر من موسوعة التفسير المأثور والتفسير المحرر

التفسير المأثور

□

مقدمة السورة

٨٢٨٩٧- عن عائشة، قالت: نزلت سورة (والفَجْرِ) بمكة(١). (١٥/٣٩٢)

٨٢٨٩٨- عن عبد الله بن عباس -من طريق مجاهد-: مكّيّة(٢). (١٥/٣٩٢)

٨٢٨٩٩- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطاء الخُراسانيّ-: مكّيّة، وذكرها بمُسمّى: (والفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ)، وأنها نزلت بعد (واللَّيْلِ إذا يَغْشى)(٣). (ز)

٨٢٩٠٠- عن عبد الله بن الزُّبير، قال: أُنزِلَتْ: (والفَجْرِ) بمكة(٤). (١٥/٣٩٢)

٨٢٩٠١- عن عكرمة مولى ابن عباس= (ز)

٨٢٩٠٢- والحسن البصري -من طريق يزيد النحوي-: مكّيّة(٥). (ز)

٨٢٩٠٣- عن قتادة بن دعامة -من طرق-: مكّيّة(٦). (ز)

٨٢٩٠٤- عن محمد بن مسلم الزُّهريّ: مكّيّة، وذكرها بمُسمّى: (والفَجْرِ)، وأنها نزلت بعد (واللَّيْلِ إذا يَغْشى)(٧). (ز)

٨٢٩٠٥- عن علي بن أبي طلحة: مدنية(٨)٧١٥٠. (ز)

٧١٥٠ ذكر ابنُ عطية (٨/٦٠٤) أنّ سورة الفجر «مكّيّة عند جمهور المفسرين». ونقل عن بعض العلماء -حكاية عن الداني-: أنها مدنية، ثم رجَّح قائلًا: «والأول أشهر، وأصحّ». ولم يذكر مستندًا.

٨٢٩٠٦- قال مقاتل بن سليمان: سورة الفجر مكّيّة، عددها ثلاثون آية كوفي(٩). (ز)

(وَٱلۡفَجۡرِ ١۝ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢۝ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤۝ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥۝ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧۝ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩۝ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠۝ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١۝ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢۝ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤۝)

******

(وَٱلۡفَجۡرِ ١۝)

<u>تفسير</u>

٨٢٩٠٧- عن عطية العَوفيّ، في قوله: (والفَجْرِ)، قال: هذا الذي تعرفون. قيل: هل تروي هذا عن أحد مِن أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبي ﷺ(١٠). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٠٨- عن عبد الله بن عباس -من طريق أبي نصر- في قوله: (والفَجْرِ)، قال: فجر النهار(١١). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩٠٩- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، مثله(١٢). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٠- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح-، مثله(١٣). (ز)

٨٢٩١١- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- (والفَجْرِ)، قال: يعني: صلاة الفجر(١٤). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٢- عن عبد الله بن عباس -من طريق عثمان- في قوله: (والفَجْرِ)، قال: هو المُحرّم أول فجر السنة(١٥). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٣- عن عبد الله بن الزُّبير -من طريق محمد بن المرتفع- في قوله: (والفَجْرِ)، قال: قَسمٌ أقسم الله به(١٦). (١٥/٣٩٢)

٨٢٩١٤- عن الأسود بن يزيد -من طريق أبي إسحاق- في قوله: (والفجر)، قال: هو فجركم هذا(١٧). (ز)

٨٢٩١٥- عن مجاهد بن جبر، في قوله: (والفَجْرِ)، قال: فجر يوم النَّحر، وليس كلّ فجر(١٨). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٦- عن محمد بن كعب القُرَظيّ، مثله(١٩). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٧- قال الضَّحّاك بن مُزاحِم: (والفَجْرِ) فجر ذي الحِجّة؛ لأنّ الله سبحانه قرن الأيّام بها(٢٠). (ز)

تفسير الثعلبي ١٠/١٩١، وتفسير البغوي ٨/٤١٢.

٨٢٩١٨- عن عكرمة مولى ابن عباس -من طريق عاصم الأحول- في قوله: (والفَجْرِ)، قال: هو الصبح(٢١). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩١٩- عن عكرمة مولى ابن عباس، في قوله: (والفَجْرِ)، قال: طلوع الفجر غداة جَمع(٢٢). (١٥/٣٩٣)

٨٢٩٢٠- عن عطية العَوفيّ، في قوله: (والفَجْرِ)، قال: هذا الذي تعرفون(٢٣). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٢١- عن ميمون بن مهران، قال: إنّ الله تعالى يُقسم بما يشاء من خَلْقه، وليس لأحد أن يُقسم إلا بالله(٢٤). (١٥/٣٩٢

٨٢٩٢٢- قال مقاتل بن سليمان: (والفَجْرِ)، يعني: غداة جَمع يوم النَّحر(٢٥)٧١٥١. (ز)

٧١٥١ زاد ابنُ عطية (٨/٦٠٤) في معنى الآية قولين آخرين، فقال: «وقيل: المراد: فجر العيون من الصخور وغيرها. وقال عكرمة: المراد: فجر يوم الجمعة».

وذكر ابن القيم (٣/٢٩٦) أنّ قوله تعالى: (والفَجْرِ) «إنْ أريد به جنس الفجر كما هو ظاهر اللفظ فإنه يتضمّن وقت صلاة الصبح، التي هي أول الصلوات، فافتتح القسم بما يتضمّن أول الصلوات، وختمه بقوله: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ) المتضمّن لآخر الصلوات: وإنْ أريد بالفجر فجر مخصوص فهو فجر يوم النَّحر وليلته التي هي ليلة عرفة، فتلك الليلة من أفضل ليالي العام، وما رئي الشيطان في ليلة أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فيها، وذلك الفجر فجر يوم النَّحر الذي هو أفضل الأيام عند الله ... وعلى هذا فقد تضمّن القَسم المناسك والصلوات، وهما المختصان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لعظمته، ولهذا قال الخليل : (قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَماتِي لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ) [الأنعام:١٦٢]، وقيل لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ) [الكوثر:٢]، بخلاف حال المشركين المُتكبِّرين الذين لا يعبدون الله وحده، بل يُشركون به، ويستكبرون عن عبادته كحال مَن ذُكر في هذه السورة من قوم عاد وثمود وفرعون».

*****

وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)

تفسير

٨٢٩٢٣- عن جابر، أنّ النبي ﷺ قال: (والفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: «إنّ العَشر عَشرُ الأضحى»(١). (١٥/٣٩٨)

أخرجه أحمد ٢٢/٣٨٩ (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرى ٤/١٩٤ (٤٠٨٦)، ١٠/٣٣٤ (١١٦٠٧)، ١٠/٣٣٥ (١١٦٠٨)، والحاكم ٤/٢٤٥ (٧٥١٧)، وابن جرير ٢٤/٣٤٨، والثعلبي ١٠/١٩٢.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وقال ابن كثير في تفسيره ٨/٣٩١: «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة». وقال ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٢٦٨): «وهو إسناد حسن». وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤/٢٠٥ (١٤٨٧): «وهذا سند لا بأس برجاله». وقال الألباني في الضعيفة ٧/١٦٢ (٣١٧٨): «منكر».

٨٢٩٢٤- عن عطية العَوفيّ، في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: عَشرُ الأضحى. قيل: هل تروي هذا عن أحد من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبي ﷺ(٢). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٢٥- عن عبد الله بن عباس -من طريق أبي نصر- في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: عشرة الأضحى. وفي لفظ قال: هي ليال العشر الأُوَل من ذي الحِجّة(٣). (١٥/٣٩٩)

أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٤٥-٣٤٧، كذلك من طريق زرارة أيضًا، والحاكم ٢/٥٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٤٥). وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

٨٢٩٢٦- عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: هي العشر الأواخر من رمضان(٤). (١٥/٤٠٢)

٨٢٩٢٧- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية- (ولَيالٍ عَشْرٍ): عَشرُ الأضحى. قال: ويقال: العشر: أول السنة مِن المُحرّم(٥). (ز)

٨٢٩٢٨- عن عبد الله بن الزُّبير -من طريق محمد بن المرتفع- في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: أول ذي الحِجّة إلى يوم النَّحر(٦). (١٥/٣٩٩)

٨٢٩٢٩- عن جابر بن عبد الله -من طريق أبي الزُّبير- (ولَيالٍ عَشْرٍ): هي أيام العشر(٧). (ز)

٨٢٩٣٠- عن طلحة بن عبد الله، أنه دخل على ابن عمر، هو وأبو سَلمة بن عبد الرحمن، فدعاهم ابنُ عمر إلى الغداء يوم عرفة، فقال أبو سَلمة: أليس هذه الليالي العشر التي ذكرها الله في القرآن؟= (ز)

٨٢٩٣١- فقال ابن عمر: وما يدريك؟ قال: ما أشكّ. قال: بلى، فاشكك (٨). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٣٢- عن مسروق بن الأَجْدع الهَمداني -من طريق أبي الضُّحى- في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: هي عَشرُ الأضحى، هي أفضل أيام السنة(٩). (١٥/٣٩٩)

٨٢٩٣٣- عن مسروق بن الأَجْدع الهَمداني، (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: عَشرُ الأضحى، وهي التي وعد الله موسى؛ قوله: (وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) [الأعراف:١٤٢](١٠). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٣٤- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: عَشرُ ذي الحِجّة(١١). (١٥/٣٩٩)

٨٢٩٣٥- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر-، مثله(١٢). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٣٦- عن عكرمة مولى ابن عباس -من طريق عاصم الأحول-، مثله(١٣). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٣٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق يزيد بن أبي زياد- قال: ليس عملٌ في ليالٍ مِن ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر، وهي عَشرُ موسى التي أتمّها الله له(١٤). (ز)

٨٢٩٣٨- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: عَشرُ الأضحى، أقسم بهنّ لفضلهنّ على سائر الأيام(١٥). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٣٩- عن عطاء الخُراسانيّ -من طريق يونس بن يزيد- (وليال عشر)، قال: عَشرُ الأضحى(١٦). (ز)

٨٢٩٤٠- قال مقاتل بن سليمان: (ولَيالٍ عَشْرٍ) فهي عَشرُ ليال قبل الأضحى، ... سمّاها الله ليالٍ عشرٍ لأنها تسعة أيام وعشر ليال(١٧). (ز)

٨٢٩٤١- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: أول ذي الحِجّة(١٨)٧١٥٢. (ز)

٧١٥٢ اختُلف في «الليالي العشر» ما هي؟ على أقوال: الأول: هي ليال عشر ذي الحِجّة. الثاني: العشر الأُوَل من المُحرّم. الثالث: العشر الأواخر من رمضان.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٤٨) -مستندًا إلى السنة، وإجماع أهل التأويل- القول الأول، وهو قول ابن عباس من طريق أبي نصر، وما في معناه، وعلَّل ذلك بقوله: «لإجماع الحجّة من أهل التأويل عليه، وأنّ عبد الله بن أبي زيادٍ القَطواني حدَّثني قال: ثني زيد بن حباب، قال: أخبرني عيّاش بن عقبة، قال: ثني خير بن نُعيم، عن أبي الزُّبير، عن جابر، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ)، قال: «عَشرُ الأضحى»».

وكذا رجَّحه ابنُ كثير (١٤/٣٣٨).

وزاد ابنُ عطية (٨/٦٠٤، ٦٠٥) قولين آخرين نقلهما: الأول عن بعض الرواة: «هي العشر الأُوَل من رمضان»، والثاني عن مجاهد: «هي عَشرُ موسى ﷺ التي أتمَّها الله تعالى له».

آثار متعلقة بالآية

٨٢٩٤٢- عن عبد الله بن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ما مِن أيام فيهنّ العمل أحبّ إلى الله ﷻ أفضل مِن أيام العشر». قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل جاهد في سبيل الله بماله ونفسه فلم يرجع من ذلك بشيء»(١٩). (١٥/٤٠١)

أخرجه البخاري ٢/٢٠ (٩٦٩)، والبيهقي في الشعب ٥/٣٠٧ (٣٤٧٣) واللفظ له.

٨٢٩٤٣- عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن أيام أفضل عند الله، ولا العمل فيهنّ أحبّ إلى الله □، مِن هذه الأيام العشر، فأكثِروا فيهنَّ مِن التهليل والتكبير، فإنها أيام التهليل والتكبير وذِكْر الله، وإنّ صيام يوم منها يَعدِل بصيام سنة، والعمل فيهنّ يُضاعف بسبعمائة ضعف»(٢٠). (١٥/٤٠٢)

أخرجه البيهقي في الشعب ٥/٣١١-٣١٢ (٣٤٨١)، من طريق عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري، حدثنا العباس بن الوليد الأزدي، حدثنا يحيى بن عيسى الرملي، حدثنا يحيى بن أيوب البجلي، عن عدي بن ثابت، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس به.

إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة؛ ففيه يحيى بن عيسى الرملي، قال عنه ابن حجر في التقريب (٧٦١٩): «صدوق يُخطئ». ومثله لا يحتمل التفرّد، وقد زاد في آخر الحديث زيادات على المحفوظ عند البخاري وغيره! كقوله: «صيام يوم منها يَعدِل بصيام سنة». وقوله: «والعمل فيهن يُضاعف بسبعمائة ضعف».

٨٢٩٤٤- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أفضل عند الله ولا أحبّ إليه العمل فيهنّ مِن أيام العشر؛ فأكثِروا فيها مِن التهليل والتكبير والتحميد»(٢١). (١٥/٤٠١)

أخرجه أحمد ٩/٣٢٣-٣٢٤ (٥٤٤٦)، ١٠/٢٩٦ (٦١٥٤)، والبيهقي في الشعب ٥/٣٠٨ (٣٤٧٤) واللفظ له.

قال ابن حجر في الأمالي المطلقة ص١٤: «هذا حديث حسن». وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٣/١٧٠ (٢٤٦٥): «رواه أبو بكر

بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، والبيهقي في الشعب بسند صحيح».

٨٢٩٤٥- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام مِن أيام الدنيا العمل فيها أحبّ إلى الله أن يُتعبّد له فيها مِن أيام العشر، يَعدِل صيام كلّ يوم منها بصيام سنة، وقيام كلّ ليلة بقيام ليلة القدر»(٢٢). (١٥/٤٠٢)

أخرجه الترمذي ٢/٢٨٤-٢٨٥ (٧٦٨)، وابن ماجه ٢/٦٢٠-٦٢١ (١٧٢٨)، والبيهقي في الشعب ٥/٣١١ (٣٤٨٠) واللفظ له.

قال البزار ١٤/٢٤٢ (٧٨١٦): «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن قتادة إلا النهاس بن قهم، وهو رجل من أهل البصرة ليس به بأس، ولا حدّث به عنه إلا مسعود بن واصل، وهو رجل بصري لا بأس به». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس. وسألتُ محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثل هذا، قال: وقد رُوي عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا شيء من هذا. وقد تَكلّم يحيى بن سعيد في نهّاس بن قهم من قِبَل حفظه». وقال النووي في خلاصة الأحكام ٢/٨٤٦ (٢٩٩٥): «ضعيف». وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٧٢ (٩٢٥): «هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ تفرّد به مسعود بن واصل عن النهاس، فأما مسعود فضعّفه أبو داود الطيالسي، وأما النهاس فيضطرب الحديث، تركه يحيى القطان، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء ضعيف. وقال ابن عدي: لا يساوي شيئًا. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به».

وقال ابن رجب في فتح الباري ٩/١٧: «والنهّاس ضعّفوه». وقال الألباني في الضعيفة ١١/٢٤٢ (٥١٤٢): «ضعيف بهذا التمام».

٨٢٩٤٦- عن الأوزاعي، قال: بلغني: أنّ العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله، يُصام نهارها، ويُحرس ليلها، إلا أن يُختصّ امرؤ بشهادة. قال الأوزاعي: حدَّثني بهذا الحديث رجل من قريش من بني مخزوم، عن النبي ﷺ(٢٣). (١٥/٤٠١)

٨٢٩٤٧- عن بعض أزواج النبي ﷺ -من طريق امرأة هنيدة بن خالد-: أنّ النبي ﷺ كان يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كلّ شهر؛ أول اثنين من الشهر، وخميسين(٢٤). (١٥/٤٠٢)

أخرجه أحمد ٣٧/٢٤ (٢٢٣٣٤)، ٤٤/٦٩ (٢٦٤٦٨)، ٤٥/٣٧٥ (٢٧٣٧٦)، وأبو داود ٤/١٠١ (٢٤٣٧)، والنسائي ٤/٢٠٥ (٢٣٧٢)، ٤/٢٢٠ (٢٤١٧)، ٤/٢٢١ (٢٤١٨).

قال الزيلعي في نصب الراية ٢/١٥٧: «وهو ضعيف، قال المنذري في مختصره: اختلف فيه على هنيدة، فرُوي كما ذكرنا، وروي عنه، عن حفصة زوج النبي ﷺ، ورُوي عنه، عن أُمّه، عن أُمّ سَلمة، مختصرًا». وقال المناوي في فيض القدير ٥/٢٢٧ (٧٠٧٨): «رمز المصنّف -السيوطي- لحُسنه». وقال الألباني في صحيح أبي داود ٧/١٩٦ (٢١٠٦): «إسناده صحيح»

٨٢٩٤٨- عن أبي عثمان، قال: كانوا يعظّمون ثلاث عشرات؛ العشر الأُوَل من المُحرّم، والعشر الأُوَل من ذي الحجة، والعشر الأُخَر من رمضان(٢٥). (١٥/٤٠٢)
ذكره محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص١٠٣.

******

وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ (٣)

تفسير

٨٢٩٤٩- عن عمران بن حصين، أنّ النبي ﷺ سُئِل عن الشفع والوتر. فقال: «هي الصلاة؛ بعضها شفعٌ، وبعضها وترٌ»(١). (١٥/٤٠٣)

أخرجه أحمد ٣٣/١٤٨ (١٩٩١٩)، ٣٣/١٦٠-١٦١ (١٩٩٣٥)، ٣٣/١٨٤ (١٩٩٧٣)، والترمذي ٥/٥٣٤ (٣٦٣٦)، والحاكم ٢/٥٦٨ (٣٩٢٨)، وابن جرير ٢٤/٣٥٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٣٩٣-.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال ابن كثير: «عندي أنّ وقفه على عمران بن حصين أشبه». وقال ابن حجر في الفتح ٨/٧٠٢: «ورجاله ثقات، إلا أنّ فيه راويًا مُبهمًا، وقد أخرجه الحاكم من هذا الوجه، فسقط من روايته المبهم، فاغترّ فصحّحه». وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/٥٣٢: «وفي إسناده رجل مجهول، وهو الراوي له عن عمران بن حصين».

٨٢٩٥٠- عن جابر، أنّ النبي ﷺ قال: «(والشَّفْعِ والوَتْرِ)، والوتر يوم عرفة، والشَّفع يوم النَّحر»(٢). (١٥/٣٩٨)

أخرجه أحمد ٢٢/٣٨٩ (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرى ٤/١٩٤ (٤٠٨٦)، ١٠/٣٣٤ (١١٦٠٧)، ١٠/٣٣٥ (١١٦٠٨)، والحاكم ٤/٢٤٥ (٧٥١٧)، والثعلبي ١٠/١٩٢.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وقال ابن كثير في تفسيره ٨/٣٩١: «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أنّ المتن في رفعه نكارة». وقال ابن رجب في لطائف المعارف (ص٢٦٨): «وهو إسناد حسن». وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤/٢٠٥ (١٤٨٧): «وهذا سند لا بأس برجاله». وقال الألباني في الضعيفة ٧/١٦٢ (٣١٧٨): «منكر».

٨٢٩٥١- عن جابر، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الشَّفع اليومان، والوتر اليوم الثالث»(٣). (١٥/٤٠٦)

أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٥٥.

قال ابن كثير في تفسيره ٨/٣٩٢: «هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدّم من اللفظ في رواية أحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم». يعني: حديث: «الوتر يوم عرفة، والشَّفع يوم النَّحر»، وقد تقدّم قريبًا.

٨٢٩٥٢- عن أبي أيوب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن الشَّفع والوتر. فقال: «يومان وليلة؛ يوم عرفة ويوم النَّحر، والوتر ليلة النَّحر ليلة جَمع»(٤). (١٥/٤٠٥)

أخرجه الطبراني ٤/١٨٠ (٤٠٧٣).

قال الهيثمي في المجمع ٧/١٣٧ (١١٤٩١): «رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه واصل بن السّائِب، وهو متروك». وقال السيوطي: «بسند ضعيف».

٨٢٩٥٣- عن عطية، في قوله: (والشَّفْعِ) قال: يقول الله: (وخَلَقْناكُمْ أزْواجًا) [النبأ:٨]، (والوَتْرِ) قال: الله. قيل: هل تروي هذا عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم(٥). (١٥/٤٠٠)

٨٢٩٥٤- عن عبد الله بن مسعود= (ز)

٨٢٩٥٥- وأبي سعيد الخدريّ: الشَّفع: الخَلْق، قال الله تعالى: (وخَلَقْناكُمْ أزْواجًا) [النبأ:٨]، والوتر: هو الله (٦). (ز) تفسير البغوي ٨/٤١٦.

٨٢٩٥٦- عن عمران بن حصين -من طريق قتادة- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: الصلاة المكتوبة؛ منها شفعٌ، ومنها وترٌ(٧). (١٥/٤٠٣)

٨٢٩٥٧- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: الله وترٌ، وأنتم شفعٌ. ويقال: الشَّفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب(٨). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٥٨- عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: الشَّفع: يوم النَّحر، والوتر: يوم عرفة(٩). (١٥/٤٠٦)

٨٢٩٥٩- عن عبد الله بن عباس، (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: كل شيء شفع فهو اثنان، والوتر واحد(١٠). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٦٠- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية-: (الشَّفْعِ) صلاة الغداة، (والوَتْرِ) صلاة المغرب(١١). (ز)

تفسير الثعلبي ١٠/١٩٣، وتفسير البغوي ٨/٤١٦.

٨٢٩٦١- عن عبد الله بن عباس -من طريق مجاهد- قال: الوتر: آدم، شُفِع بزوجته(١٢). (ز)

٨٢٩٦٢- عن عبد الله بن الزُّبير -من طريق محمد بن المرتفع- أنه سئل عن الشَّفع والوتر. فقال: الشَّفع: قول الله: (فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ) [البقرة:٢٠٣]، والوتر: اليوم الثالث. وفي لفظ: الشَّفع: أوسط التشريق، والوتر: آخر أيام التشريق(١٣). (١٥/٤٠٦)

٨٢٩٦٣- عن أبي العالية الرِّياحيّ، (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: ذلك صلاة المغرب؛ الشَّفع الركعتان، والوتر الركعة الثالثة(١٤). (١٥/٤٠٣)

٨٢٩٦٤- عن الربيع بن أنس -من طريق أبي جعفر-، مثله(١٥). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٦٥- عن إبراهيم النَّخْعي، قال: الشَّفع: الزوج، والوتر: الفرد(١٦). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٦٦- عن مجاهد بن جبر -من طريق معمر، عن ابن أبي نجيح- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: الخَلْق كلّه شفعٌ ووتر، فأَقسم بالخَلْق(١٧). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٦٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح- (والشَّفْعِ والوَتْرِ) قال: كلّ خَلْق الله شفعٌ؛ السماء والأرض، والبَرّ والبحر، والإنس والجن، والشمس والقمر، ونحو هذا شفعٌ، والوتر الله وحده(١٨). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٦٨- عن مجاهد بن جبر -من طريق أبي يحيى- (والشفع والوتر)، قال: الشَّفع: الزوج، والوتر: الله(١٩). (ز)

٨٢٩٦٩- عن مجاهد بن جبر، (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: الله الوتر، وخَلْقه الشَّفع؛ الذَّكَر والأنثى(٢٠). (١٥/٤٠٥)

عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وعند ابن جرير ٢٤/٣٥٢ من طريق جابر بلفظ: الله، وما خَلَق الله من شيء فهو شفعٌ.

٨٢٩٧٠- عن مجاهد بن جبر، قال: الشَّفع: آدم وحواء، والوتر: الله(٢١). (١٥/٤٠٥)

٨٢٩٧١- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق أبي سنان- قال: (ولَيالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ والوَتْرِ)، الشَّفع: يوم النَّحر، والوتر: يوم عرفة، أقسم بهما ربّهما لفضْلهما على العَشر(٢٢). (١٥/٤٠٦)

٨٢٩٧٢- عن عكرمة مولى ابن عباس -من طريق إسماعيل بن شروس- قال: عرفة وترٌ، ويوم النَّحر شفعٌ؛ عرفة يوم التاسع، والنَّحر يوم العاشر(٢٣). (١٥/٤٠٦)

٨٢٩٧٣- عن الحسن البصري، (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: أقسم ربّنا بالعدد كلّه؛ الشَّفع منه والوتر(٢٤). (١٥/٤٠٤)

٨٢٩٧٤- قال الحسن البصري -من طريق معمر-: الخَلْق كلّه شفعٌ ووترٌ(٢٥). (ز)

٨٢٩٧٥- عن عطاء [بن أبي رباح] -من طريق واصل بن السّائِب- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: هي أيام النُّسك؛ عرفة والأضحى هما الشَّفع، وليلة الأضحى هي الوتر(٢٦). (١٥/٤٠٥)

٨٢٩٧٦- عن عطاء [بن أبي رباح] -من طريق عبد الملك بن أبي سليمان- قال الله -تبارك وتعالى-: الوتر والشَّفع: خَلْقُه. (ز) أخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/٢٥٩

قال المحقق: «كذا في النسخ بتقديم الوتر، كأنه لا يريد التلاوة». ويظهر أن قراءتها هكذا: قال: «اللهُ -تبارك وتعالى- الوترُ، والشَّفعُ خَلْقُه».

٨٢٩٧٧- عن أبي صالح [باذام] -من طريق إسماعيل- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: خَلَق الله مِن كلّ زوجين اثنين، والله وترٌ واحد صمد.= (ز)

٨٢٩٧٨- قال إسماعيل: فذكرتُ ذلك للشعبي، فقال: كان مسروق يقول ذلك(٢٩). (١٥/٤٠٥)

٨٢٩٧٩- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، قال: إنّ من الصلاة شفعًا، وإنّ منها وترًا.= (ز)

٨٢٩٨٠- قال: وقال الحسن: هو العدد؛ منه شفعٌ، ومنه وترٌ(٣٠). (١٥/٤٠٣)

٨٢٩٨١- قال قتادة بن دعامة: (والشَّفْعِ والوَتْرِ) الشَّفع: الخَلْق، والوتر: الله تعالى(٣١). (ز)

٨٢٩٨٢- عن محمد بن كعب القُرَظيّ: (والشَّفْعِ والوَتْرِ) الزوج والفرد(٣٢). (ز)

٨٢٩٨٣- عن عطاء الخُراسانيّ -من طريق يونس بن يزيد- (والشفع والوتر)، قال: الزوج والفرد(٣٣). (ز)

٨٢٩٨٤- عن زيد بن أسلم -من طريق عبد الرحمن بن زيد- (والشَّفْعِ والوَتْرِ): كلّ شيء خَلَق الله شفعٌ ووترٌ، فأَقسم بما خَلَق، وأَقسم بما تُبصِرون وبما لا تُبصِرون(٣٤). (ز)

٨٢٩٨٥- قال مقاتل بن سليمان: (والشَّفْعِ والوَتْرِ)، أمّا الشَّفع: فهو آدم وحواء □، وأمّا الوتر: فهو الله □(٣٥). (ز)

٨٢٩٨٦- قال مقاتل بن حيّان: (الشَّفْعِ) الأيام والليالي، و(والوَتْرِ) اليوم الذي لا ليلة بعده، وهو يوم القيامة(٣٦). (ز) تفسير الثعلبي ١٠/١٩٣، وتفسير البغوي ٨/٤١٦.

٨٢٩٨٧- عن سفيان بن عُيينة -من طريق عبد الجبّار بن العلاء العطّار- يقول: الوتر هو الله □، وهو الشَّفع أيضًا؛ لقوله: (ما يَكُونُ مِن نَجْوى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُمْ) [المجادلة:٧](٣٧)٧١٥٣. (ز)

٧١٥٣ اختُلف في معنى: «الشَّفع والوتر» على أقوال:

الأول: الشَّفع: يوم النَّحر، والوتر: يوم عرفة.

الثاني: الشَّفع: اليومان بعد يوم النحر، والوتر: اليوم الثالث.

الثالث: الشَّفع: الخَلْق كلّه، والوتر: الله.

الرابع: الشَّفع والوتر: الخَلْق كلّه.

الخامس: الصلاة المكتوبة؛ منها الشَّفع، ومنها الوتر.

السادس: العدد؛ منه الشَّفع، ومنه الوتر.

السابع: الشَّفع الركعتان من المغرب، والوتر الركعة الثالثة.

الثامن: الشَّفع الأيام والليالي، والوتر يوم القيامة لأنه لا ليل بعده.

التاسع: الشَّفع آدم وحواء □، والوتر الله □.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٥٥) العموم، فقال: «إنّ الله -تعالى ذِكْره- أقسم بالشَّفع والوتر، ولم يَخْصُص نوعًا من الشَّفع ولا من الوتر دون نوعٍ بخبرٍ ولا عقلٍ، فكلّ شفعٍ ووترٍ فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخلٌ في قَسَمه هذا؛ لعموم قَسَمه بذلك».

وزاد ابنُ عطية (٨/٦٠٥-٦٠٦) أقوالًا أخرى نقلها عن آخرين، فقال: «وقيل: الشَّفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. وقال الحسين بن الفضل: الشَّفع: أبواب الجنة لأنها ثمانية أبواب، والوتر: أبواب النار لأنها سبعة أبواب. وقال مقاتل: الشفع: الأيام والليالي، والوتر:يوم القيامة؛ لأنه لا ليل بعده. وقال أبو بكر الوَرّاق: الشَّفع: تضاد أوصاف المخلوقين كالعِزِّ والذُّل ونحوه، والوتر: اتحاد صفات الله تعالى، عِزٌّ محض وكرمٌ محض، ونحوه. وقيل: الشَّفع: قِرانُ الحج والعمرة، والوتر: الإفراد بالحج ... وقال بعض المفسرين: الشَّفع: حواء، والوتر: آدم □ ... وقال بعض العلماء: الشَّفع: تنفُّلُ الليل مثنى مثنى، والوتر: الركعة الأخيرة المعروفة».

*****

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ (٤)

__تفسير__

٨٢٩٨٨- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: إذا ذهب(١)٧١٥٤. (١٥/٤٠٧)

٧١٥٤ ذكر ابنُ عطية (٨/٦٠٦) أنّ «سُرى الليل: ذهابه وانقراضه، هذا قول الجمهور». ثم نقل عن ابن قُتيبة، والأخفش وغيرهما أنّ المعنى: «إذا يُسرى فيه». ثم وجَّهه بقوله: «فيخرج هذا الكلام مخرج: ليل نائم، ونهار صائم».

٨٢٩٨٩- عن عبد الله بن الزُّبير -من طريق محمد بن المرتفع- (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: حتى يُذهِب بعضُه بعضًا(٢). (١٥/٤٠٧)

٨٢٩٩٠- عن أبي العالية الرِّياحيّ، (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، يقول: إذا أقبل(٣). (١٥/٤٠٨)

٨٢٩٩١- عن أبي العالية الرِّياحيّ -من طريق الربيع- (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: والليل إذا سار(٤)٧١٥٥. (ز)

٧١٥٥ علَّق ابنُ كثير (١٤/٣٤٢) على قول أبي العالية وما في معناه بقوله: «وهذا يمكن حمْله على ما قال ابن عباس، أي: ذهب. ويحتمل أن يكون المراد: إذا سار، أي: أقبل. وقد يقال: إنّ هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: (والفَجْرِ)، فإنّ الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ) على إقباله كان قَسمًا بإقبال الليل وإدبار النهار، وبالعكس، كقوله: (واللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ) [التكوير:١٧-١٨]».

٨٢٩٩٢- قال مجاهد بن جبر= (ز)

٨٢٩٩٣- ومحمد بن السّائِب الكلبي: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ) هي ليلة المُزدلفة(٥). (ز) تفسير الثعلبي ١٠/١٩٤، وتفسير البغوي

٨٢٩٩٤- عن مجاهد بن جبر -من طريق أبي يحيى- (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: إذا سار(٦). (١٥/٤٠٧)

٨٢٩٩٥- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: يجري(٧). (١٥/٤٠٧)

٨٢٩٩٦- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: ليلة جَمع(٨). (١٥/٤٠٨)

٨٢٩٩٧- عن عكرمة مولى ابن عباس، (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: ليلة جَمع. قال: وكانوا يقولون: سرى الليلُ بجَمع فمضى. يعني: مضى الليل والناس بجَمع. قال عكرمة: هذا القَسم في أيام العشر كلّه(٩). (١٥/٤٠٨)

٨٢٩٩٨- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: إذا سار(١٠). (١٥/٤٠٧)

٨٢٩٩٩- عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو- أنه قيل له: ما (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)؟ قال: هذه الإفاضة، اسْرِ، يا ساري، ولا تَبِيتنّ إلا بجَمع(١١). (١٥/٤٠٨)

٨٣٠٠٠- قال مقاتل بن سليمان: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، يعني: إذا أقبل، وهي ليلة الأضحى، فأَقسم الله بيوم النَّحر، والعشر، وبآدم وحواء، وأَقسم بنفسه(١٢). (ز)

٨٣٠٠١- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (واللَّيْلِ إذا يَسْرِ)، قال: الليل إذا يسير(١٣). (ز)

****

هَلۡ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجۡرٍ (٥)

<u>تفسير</u>

٨٣٠٠٢- عن عبد الله بن عباس -من طريق أبي نصر- في قوله: (قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)، قال: لذي حِجًا وعقل ونُهى(١)٧١٥٦. (١٥/٤٠٨)

٧١٥٦ لم يذكر ابنُ جرير (٢٤/٣٦٠) في معنى: (لِذِي حِجْرٍ) سوى قول ابن عباس من طريق أبي نصر، وما في معناه.

٨٣٠٠٣- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (لِذِي حِجْرٍ)، قال: لذي عَقْل(٢). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠٠٤- عن عكرمة مولى ابن عباس -من طريق عاصم-= (ز)

٨٣٠٠٥- والضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر-، مثله(٣). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠٠٦- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر-= (ز)

٨٣٠٠٧- والربيع بن أنس، مثله(٤). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠٠٨- عن أبي مالك غَزْوان الغفاري، (لِذِي حِجْرٍ)، قال: سِتْر من الناس(٥). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠٠٩- عن الحسن البصري -من طريق أبي رجاء- (لِذِي حِجْرٍ)، قال: لذي حِلم(٦). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠١٠- عن إسماعيل السُّدِّيّ، في قوله: (لِذِي حِجْرٍ)، قال: لذي لُبٍّ، قال الحارث بن ثعلبة:

وكيف رجائي أنْ أتوب وإنما...... يُرجّى مِن الفتيان مَن كان ذا حِجر(٧). (١٥/٤٠٩)

٨٣٠١١- عن عطاء الخُراسانيّ -من طريق يونس بن يزيد- (قسم لذي حجر)، قال: لذي نُهى، وحِلم، وحياء(٨). (ز)

٨٣٠١٢- قال مقاتل بن سليمان: (هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)، يعني: إنّ في ذلك القَسم كفاية لذي اللُّبّ، يعني: ذا عقل، فيعرف عِظَم هذا القَسم(٩). (ز)

٨٣٠١٣- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)، قال: لذي عقل. وقرأ: (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة:١٦٤]، و(لِأُولِي الأَلْبابِ) [آل عمران:١٩٠]، وهم الذين عاتبهم الله. وقال: العقل واللُّبّ واحد، إلا أنه يفترق في كلام العرب(١٠). (ز)

*****

(أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ (٧)

<u>تفسير (إرم)</u>

٨٣٠١٤- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ)، قال: يعني بالإرَم: الهالك، ألا تَرى أنك تقول: أرِم بنو فلان(١). (١٥/٤١٠)

٨٣٠١٥- عن عبد الله بن عباس -من طريق مكحول- قال: ... ومَن أراد أن ينظر إلى إرَم فليأتِ نهرًا في حفر دمشق يقال له: برَدى ...(٢). (ز)

أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٤١١.

٨٣٠١٦- عن خالد بن معدان، في قول الله تعالى: (لم يخلق مثلها في البلاد) [الفجر:٨]، قال: يعني: دمشق(٣). (ز) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٢١٦.

٨٣٠١٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: (بِعادٍ إرَمَ)، قال: القديمة(٤). (١٥/٤١٠)

٨٣٠١٨- عن مجاهد بن جبر -من طريق أبي يحيى- في قوله: (إرَمَ)، قال: أُمّة(٥). (١٥/٤١٠)

٨٣٠١٩- عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: (إرَم) هي دمشق(٦). (١٥/٤١١)

٨٣٠٢٠- عن سعيد بن المسيّب -من طريق محمد بن إسحاق، عمن يخبره-، مثله(٧). (١٥/٤١١) أخرجه ابن عساكر ١/٢١٧.

٨٣٠٢١- عن سعيد بن أبي سعيد المقبريّ -من طريق ابن أبي ذئب-، مثله(٨). (١٥/٤١١) أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٦١-٣٦٢، وابن عساكر ١/٢١٨. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

٨٣٠٢٢- عن خالد الربعي، مثله(٩). (١٥/٤١١)

٨٣٠٢٣- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- قال: الإرَم: الهلاك، ألا تَرى أنه يقال: أرِم بنو فلان، أي: هلكوا(١٠). (١٥/٤١٢) أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٦٤، وابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/٧٠٢-. ونقل السيوطي عقب هذا الأثر قول الحافظ ابن حجر: «هذا التفسير على قراءة شاذة (أرَّم) بفتحتين وتشديد الراء، على أنه فعل ماض، و(ذات) بفتح التاء، مفعول، أي: أهلك الله ذات العماد». وينظر: الفتح ٨/٧٠٢.

٨٣٠٢٤- عن شَهْر بن حَوْشَب، (أرَمَّ)، قال: رمّهم رمًّا فجعلهم رِممًا(١١). (١٥/٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/٧٠٢-.

٨٣٠٢٥- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- قال: كُنّا نُحدَّث أنّ إرَم قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل عمود(١٢). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٢٦- عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق أبي صخر- قال: (إرَمَ ذاتِ العِمادِ) إرَم هي الإسكندرية(١٣). (١٥/٤١٢)

٨٣٠٢٧- عن إسماعيل السُّدِّيّ، في قوله: (بِعادٍ إرَمَ)، قال: عاد بن إرَم، نَسبَهم إلى أبيهم الأكبر(١٤). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٢٨- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (إرَمَ) هو الذي يجتمع إليه نَسب عاد وثمود وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرَم، وثمود إرَم، فأهلك الله عادًا ثم ثمود، وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيّارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم بوادي القرى(١٥). (ز) تفسير البغوي ٨/٤١٨.

٨٣٠٢٩- قال مقاتل بن سليمان: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ) يعني: بقوم هود، وإنما سمّاهم: قوم هود؛ لأنّ أباهم كان اسمه ابن سمل بن لملك بن سام بن نوح، مثل ما تقول العرب: ربيعة، ومُضر، وخُزاعة، وسليم، وكذلك عاد وثمود إرَم، وهي قبيلة من قبائلهم اسمها: إرَم(١٦). (ز)

٨٣٠٣٠- عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ): يقول الله: (بِعادٍ إرَمَ)، أي: إنّ عاد بن إرَم بن عوص بن سام بن نوح(١٧). (ز)

٨٣٠٣١- عن مالك بن أنس -من طريق أشهب بن عبد العزيز- قال: يقال: إنّ (إرم ذات العماد) دمشق(١٨). (ز) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٢١٨

٨٣٠٣٢- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- (إرَمَ ذاتِ العِمادِ)، قال: هي عاد(١٩)٧١٥٧. (ز)

٧١٥٧ اختُلف في معنى: (إرَمَ) على أقوال: الأول: أنها اسم بلدة، واختُلف في تعيينها على قولين: أحدهما: الإسكندرية. ثانيهما: دمشق. الثاني: عُنِيَ بها: أُمّة. الثالث: القديمة. الرابع: أنها قبيلة من عاد. الخامس: هو جَدُّ عادٍ. السادس: الهالك.

وعلَّق ابنُ كثير (١٤/٣٤٣) على القول الرابع -وهو قول قتادة، والسُّدِّيّ- بقوله: «وهذا قول حسن جيد قوي».

وذكر ابنُ جرير (٢٤/٣٦٤) -مستندًا إلى اللغة- أنّ الصواب «أن يقال: إنّ إرَم إمّا اسم بلدةٍ كانت عاد تسكنها، فلذلك رُدَّتْ على عادَ على الإتباع لها، ولم تُجْرَ مِن أجل ذلك، وإمّا اسم قبيلة فلم تُجْرَ أيضًا كما لا تُجْرى أسماء القبائل كتميم وبكر وما أشبه ذلك إذا أرادوا به قبيلةً».

وانتقده ابنُ كثير (١٤/٣٤٥) -مستندًا إلى السياق- قائلًا: «وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: (إرم) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تُصرف. فيه نظر؛ لأنّ المراد من السياق إنما هو الإخبار عن

القبيلة، ولهذا قال بعده: (وثَمُودَ الذيْنَ جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)، يعني: يقطعون الصخر بالوادي».

ورجَّح ابنُ جرير -مستندًا إلى القراءات- القول الرابع، وهو قول قتادة، فقال: «وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسمُ قبيلةٍ من عاد، ولذلك جاءت القراءة بتَرْك إضافة عاد إليها، وتَرْكِ إجرائها، كما يقال: ألم تَر ما فعل ربّك بتميم نهشل. فتُرِك نهشل -وهي قبيلةٌ- فتُرِك إجراؤها لذلك، وهي في موضع خفضٍ بالرَّد على تميمَ، ولو كانت»إرم«اسمَ بلدة أو اسمَ جدٍّ لعادٍ لجاءت القراءة بإضافة عادَ إليها، كما يقال: هذا عمرو زبيد، وحاتم طيئ، وأعشى هَمْدان، ولكنها اسم قبيلةٍ منها فيما أرى كما قال قتادة، والله أعلم، فلذلك أجمعت القرأة فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء».

وانتقد ابنُ جرير (٢٤/٣٦٤) القول الثالث -وهو قول مجاهد- -مستندًا إلى اللغة- بأنه «قولٌ لا معنى له؛ لأنّ ذلك لو كان معناه لكان مخفوضًا بالتنوين، وفي تَرْك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعتٍ ولا صفةٍ».

وانتقد ابنُ عطية (٨/٦٠٧) مَن عيَّن البلدة بالإسكندرية أو دمشق قائلًا: «وهذان القولان ضعيفان».

ووافقه ابنُ كثير (١٤/٣٤٤) -مستندًا إلى السياق، والدلالة العقلية- فقال: «ومَن زعم أنّ المراد بقوله: (إرم ذات العماد) مدينة إمّا دمشق، كما رُوي عن سعيد بن المسيّب، وعكرمة، أو إسكندرية كما روي عن القُرَظيّ أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ ذاتِ العِمادِ) إن جُعل ذلك بدلًا أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المُسمّاة بعاد،

وما أحلّ الله بهم من بأسه الذي لا يُردُّ، لا أنّ المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم».

تفسير (ذات العماد)

٨٣٠٣٣- عن المقدام بن معدِيكرِب، عن النبي ﷺ، أنه ذكر إرَم ذات العماد، فقال: «كان الرجل منهم يأتي على الصخرة، فيحملها على كاهله، فيُلقيها على أيِّ حيٍّ أراد، فيهلكهم»(٢٠). (١٥/٤١١)

أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٣٩٥-، والثعلبي ١٠/١٩٦.

قال الشوكاني في فتح القدير ٥/٥٣٣: «وفي إسناده رجل مجهول؛ لأنّ معاوية بن صالح رواه عمّن حدّثه عن المقدام».

٨٣٠٣٤- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (ذاتِ العِمادِ): يعني: طولهم مثل العماد(٢١). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٣٥- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: (ذاتِ العِمادِ)، قال: أهل عمود، لا يُقيمُون(٢٢). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٣٦- عن مجاهد بن جبر -من طريق أبي يحيى- في قوله: (ذاتِ العِمادِ)، قال: كان لها جسم في السماء(٢٣). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٣٧- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد-: (ذاتَ العِمادِ) ذات الشدة والقوة(٢٤). (١٥/٤١٢)

٨٣٠٣٨- قال الحسن البصري: (ذاتِ العِمادِ) ذات البناء الرفيع(٢٥). (ز)

٨٣٠٣٩- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (ذاتِ العِمادِ)، قال: ذُكر لنا: أنهم كانوا أهل عمود، لا يقيمون؛ سيّارة(٢٦). (ز)

٨٣٠٤٠- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (ذاتِ العِمادِ) وسُمّوا ذات العماد لهذا؛ لأنهم كانوا أهل عمد سيارة(٢٧). (ز) تفسير البغوي ٨/٤١٨.

٨٣٠٤١- قال محمد بن السّائِب الكلبي: كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع(٢٨). (ز)

٨٣٠٤٢- قال مقاتل: (ذاتِ العِمادِ) كان طول أحدهم اثني عشر ذراعًا(٢٩). (ز)

تفسير الثعلبي ١٠/١٩٦، وتفسير البغوي ٨/٤١٨.

٨٣٠٤٣- قال مقاتل بن سليمان: (ذاتِ العِمادِ)، يعني: ذات الأساطين، وهي أساطين الرهبانيين التي تكون في الفيافي والرّمال، فشبّه الله طولهم إذ كانوا قيامًا في البريّة بأنه مثل العماد، وكان طول أحدهم ثمانية عشر ذراعًا، ويقال: اثني عشر ذراعًا في السماء، مثل أعظم أسطوانة تكون(٣٠). (ز)

٨٣٠٤٤- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (إِرَمَ ذاتِ العِمادِ)، قال: عاد قوم هود، بَنَوها وعملوها حين كانوا في الأحقاف(٣١)٧١٥٨. (ز)

٧١٥٨ اختُلف في معنى: (ذاتِ العِمادِ) في هذه الآية على أقوال: الأول: ذات الطُّول، وقالوا: كانوا طوال الأجسام. الثاني: ذات العماد؛ لأنهم كانوا

أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث. الثالث: لبناءٍ بناه بعضهم، فشيَّد عمده ورفع بناءه. الرابع: ذات القوة والشدة.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٦٦-٣٦٧) القول الثاني، وهو قول مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وقول قتادة، ومحمد بن السّائِب الكلبي، وانتقد القول الثالث مستندًا إلى الأغلب من لغة العرب، فقال معلِّلًا: «لأنّ المعروف في كلام العرب من العماد: ما عُمِد به الخيام من الخشب، أو السواري التي يُحمَل عليها البناء، ولا يُعلَم بناءٌ كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجَّه بعض أهل التأويل قوله: (ذاتِ العِمادِ) إلى أنه عُنِيَ به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنه عُنِيَ به عمادُ خيامهم، فأمّا عماد البنيان فلا نعلم كبير أحدٍ من أهل التأويل وجَّهَه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجَّه إلى الأعرف الأغلب الأشهر من معانيه -ما وُجِد إلى ذلك سبيلٌ- دون الأنكر».

وذكر ابنُ عطية (٨/٦٠٨) أنّ مَن «قال:»إرَمَ مدينة«قال: العماد أعمدة الحجارة التي بُنيتْ بها. وقيل: القصور العالية والأبراج، يقال لها: عماد. ومَن قال:»إرَمَ قبيلة«قال: العِمادِ إمّا أعمدة أبْنِيَتِهم، وإمّا أعمدة بيوتهم التي يرحلون بها؛ لأنهم كانوا أهل عمود ينتجعون البلاد. قاله مقاتل وجماعة».

آثار متعلقة بالآية (ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ)

٨٣٠٤٥- عن ثور بن زيد الدّيلميِّ، قال: قرأتُ كتابًا: أنا شدادُ بن عاد، أنا الذي رفعتُ العماد، وأنا الذي سدَدْتُ بذراعي بطنَ وادٍ، وأنا الذي كَنَزتُ كنزًا في البحر على تسعِ أذرُعٍ لا يُخرِجُه إلا أمة محمد ﷺ(٣٢). (٦/٤٤٩).

****

ٱلَّتِى لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِى ٱلۡبِلَٰدِ (٨)

<u>تفسير</u>

٨٣٠٤٦- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- قال: (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ)، قال: ذُكر لنا: أنهم كانوا اثني عشر ذراعًا طولًا في السماء(١). (١٥/٤١٠)

٨٣٠٤٧- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب-، نحوه(٢). (ز)

٨٣٠٤٨- قال محمد بن السّائِب الكلبي: إرَم هو الذي يجتمع إليه نَسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرَم، وثمود إرَم. فأهلك الله سبحانه عادًا، ثم ثمود، وبقي أهل السواد وأهل الجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشية في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، فكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم كانت بوادي القرى، وهي التي يقول الله سبحانه: (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ)(٣). (ز)

٨٣٠٤٩- قال مقاتل بن سليمان: (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ)، يقول: ما خَلَق الله مثل قوم عاد في الآدميين، ولا مثل إرَم في قوم عاد(٤). (ز)

٨٣٠٥٠- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها) مثل تلك الأعماد (فِي البِلادِ)، قال: وكذلك في الأحقاف في حَضرمَوت، ثَمَّ كانت عاد. قال: وثَمَّ أحقاف الرمل كما قال الله -جلّ ثناؤه-، الأحقاف من الرّمل: رمال أمثال الجبال، تكون مُظلَّة مُجوّفة(٥)٧١٥٩. (ز)

٧١٥٩ اختُلف في المشار إليه بقوله تعالى: (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ) على قولين: الأول: أنّ الإشارة إلى عاد أو تلك القبيلة، والمعنى: لم يُخلق مثلها في الطُّول والقوة.

الثاني: الإشارة إلى المدينة، والمعنى: لم يُخلق مثل الأعمدة في البلاد، وقالوا: التي لم يُخلق مثلها من صفة ذات العماد، والهاء التي في (مثلُها) إنما هي من ذكر (ذات العماد).

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٦٨) القول الأول، وانتقد القول الثاني -وهو قول ابن زيد- مستندًا إلى اللغة، والواقع، فقال: «وهذا قولٌ لا وجْه له؛ لأنّ (العِمادِ) واحدٌ مذكر، و(التي) للأنثى، ولا يوصف المذكر بالتي، ولو كان ذلك من صفة (العِمادِ) لقيل: الذي لم يُخلَق مثله في البلاد، وإن جُعِلت (التي) لإرمَ، وجُعِلت الهاء عائدةً في قوله: (مِثْلُها) عليها، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية؛ فإنّ بلاد عادٍ هي التي وصفها الله في كتابه، فقال: (واذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقافِ) [الأحقاف:٢١]، والأحقاف: هي جمع حِقْفٍ، وهو ما انعطف من الرّمل وانحنى، وليست الإسكندريةُ ولا دمشقُ من بلاد الرّمال، بل ذلك الشِّحْرُ من بلاد حَضرمَوت، وما والاها».

ووافقه ابنُ كثير (١٤/٣٤٣)، فقال: «وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد ومَن ذهب مذهبه ضعيف؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البِلادِ)».

******

وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ (٩)

تفسير

٨٣٠٥١- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله: (جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)، قال: خَرقوها(١). (١٥/٤١٢)

٨٣٠٥٢- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)، قال: كانوا ينحتون مِن الجبال بيوتًا(٢). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٥٣- عن عبد الله بن عباس، أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبِرني عن قوله: (جابُوا الصَّخْرَ). قال: نقّبوا الحجارة في الجبال، فاتخذوها بيوتًا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميّة:

وَشَقَّ أَبْصَارَنَا كَيْمَا نَعِيشَ بِهَا......وَجَابَ لِلسَّمْعِ أَصْمَاخًا وآذانا؟(٣). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٥٤- عن مجاهد بن جبر -من طريق أبي يحيى- (جابُوا الصَّخْرَ)، قال: خَرقوا الجبال، فجعلوها بيوتًا(٤). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٥٥- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: (جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)، يقول: قدُّوا الحجارةَ(٥). (ز)

٨٣٠٥٦- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- في قوله تعالى: (جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)، قال: ثَقبوا الصخر؛ نَحتوا الصخر(٦). (ز)

٨٣٠٥٧- عن عطاء الخُراسانيّ -من طريق يونس بن يزيد- (جابوا الصخر بالواد)، قال: نَقبوا الصخر بيوتًا(٧). (ز)

٨٣٠٥٨- قال مقاتل بن سليمان: (وثَمُودَ) وهو أبوهم، وبذلك سمّاهم، وهم قوم صالح (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ) يقول: الذين نَقبوا الصخر بالوادي، وذلك أنهم كانوا يعمدون إلى أعظم جبل، فيَثقبونه، فيجعلونه بيتًا،

ويجعلون بابه منها، وغلْقه منها، فذلك قوله: (وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا فارِهِينَ) [الشعراء:١٤٩](٨). (ز)

٨٣٠٥٩- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ): ضربوا البيوت والمساكن في الصخر في الجبال، حتى جعلوا فيها مساكن، جابوا: جوَّبوها، تجوّبوا البيوت في الجبال؛ قال قائل:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَائِدُ ..... كَمَا بَادَ حَيٌّ مِنْ شَنِيفٍ وَمَارِدِ

هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلّ صَلاءَ صَعْدَةٍ ..... بأيْدٍ شِدَادٍ أيِّدَاتِ السَّوَاعِدِ

(٩)٧١٦٠. (ز)

٧١٦٠ ذكر ابنُ عطية (٨/٦٠٨) أنّ «الوادي: ما بين الجبلين وإن لم يكن فيه ماءٌ. هذا قول كثير من المفسرين في معنى (جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ)». ثم نقل عن الثعلبي أنّ المراد: «بوادي القرى». ونقل عن قوم أنّ «المعنى: جابوا واديهم، وجلبوا ماءهم في صخر شقُّوه». ثم علَّق بقوله: «وهذا فعل ذي القوة والآمال».

*****

وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ (١٠)

تفسير

٨٣٠٦٠- عن عبد الله بن مسعود -من طريق أبي رافع- في قوله: (ذِي الأَوْتادِ)، قال: وتَّد فرعون لأمرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًا عظيمة حتى ماتت(١). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٦١- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ)، قال: الأوتاد: الجنود الذين يُشدِّدون له أمره(٢). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٦٢- عن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد بن جُبَير-: أنه كانت له مظالٌّ يُلعب له تحتها، وأوتاد كانت تُضرب له(٣). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٦٣- عن عبد الله بن عباس -من طريق إسحاق بن بشر، عن ابن سمعان، عن عطاء- أنّ فرعون إنما سُمّي (ذي الأوتاد) لأنه كانت امرأة -وهي امرأة خازن فرعون حزبيل، وكان مؤمنًا كتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون- فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس مَن كفر بالله. فقالت بنت فرعون: وهل لك مِن إلهٍ غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فقامت، فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أنّ إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فأرسَل إليها، فسألها عن ذلك، فقالت: صدقتْ. فقال لها: ويحكِ، اكفري بإلهكِ وأقِرِّي بأني إلهكِ. قالت: لا أفعل. فمدَّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسَل عليها الحيّات والعقارب، وقال لها: اكفري بإلهكِ، وإلا عذّبتُك بهذا العذاب شهرين. فقالت له: ولو عذَّبتني سبعين شهرًا ما كفرتُ بالله. وكان لها ابنتان، فجاء بابنتها الكبرى، فذبحها على قُربٍ منها، وقال لها: اكفري بالله، وإلا ذبحتُ الصغرى على قلبكِ. وكانت رضيعًا، فقالتْ: لو ذبحتَ مَن على وجه الأرض على فِيَّ ما كفرتُ بالله . فأتى بابنتها الصغرى، فلما أُضجعتْ على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها، فتكلّمتْ، وهي مِن الأربعة الذين

تَكلّموا أطفالًا، وقالت: يا أُمّاه، لا تجزعي؛ فإنّ الله قد بنى لكِ بيتًا في الجنة، اصبري فإنّك تُفْضِين إلى رحمة الله وكرامته. فذُبحتْ، فلم تلبث أن ماتتْ، فأسكنها الله الجنة. قال: وبعث في طلب زوجها حزبيل، فلم يقدروا عليه، فقيل لفرعون: إنّه قد رُئِي في موضع كذا وكذا في جبل كذا. فبعث رجلين في طلبه، فانتهيا إليه وهو يُصلّي، ويليه صفوف من الوحوش خلفه يُصلُّون، فلمّا رأيا ذلك انصرفا، فقال حزبيل: اللهم، إنّك تعلم أنّي كتمتُ إيماني مائة سنة، ولم يظهر عَلَيَّ أحد، فأيّما هذان الرجلين كتم عليَّ فاهدِه إلى دينك، وأَعْطِه مِن الدنيا سُؤْلَه، وأيّما هذين الرجلين أظهر عليَّ فعجِّل عقوبته في الدنيا، واجعل مصيره في الآخرة إلى النار. فانصرف الرجلان إلى فرعون، فأمّا أحدهما فاعتبر وآمن، وأمّا الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم، فلان. فدعا به، فقال: أحقٌّ ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيتُ مما قال شيئًا. فأعطاه فرعون وأجزل، وأمّا الآخر فقتله، ثم صلبه. قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة مِن نساء بني إسرائيل يقال لها: آسية بنت مزاحم، فرأتْ ما صنع فرعونُ بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أنْ أصبر على ما يأتي به فرعون، وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تُؤامِر نفسها إذ دخل عليها فرعون، فجلس قريبًا منها، فقالت: يا فرعون، أنتَ شرُّ الخَلْق وأخبثهم، عمدتَ إلى الماشطة فقتلتَها! قال: فلعلّ بك الجنون الذي كان بها؟ قالت: ما بي مِن جنون، وإنّ إلهي وإلهها وإلهك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فمزَّق عليها ثيابها، وضربها، وأرسَل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أنّ الجنون الذي كان بالماشطة أصابها؟ قالت: أعوذ بالله مِن ذلك، إني أشهد أنّ ربي وربَّك وربّ السماوات

والأرض واحدٌ لا شريك له. فقال لها أبوها: يا آسية، ألستِ مِن خير نساء العماليق، وزوجكِ إله العماليق؟ قالت: أعوذ بالله مِن ذلك، إن كان ما يقول حقًّا فقولا له أن يتوّجني تاجًا تكون الشمس أمامه، والقمر خلفه، والكواكب حوله. فقال لهما فرعون: اخرجا عني. فمدَّها بين أربعة أوتاد يُعذّبها، ففتح الله لها بابًا إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك قالت: (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) [التحريم:١١]. فقبض الله روحها، وأسكنها الجنة(٤). (ز)
أخرجه الثعلبي ١٠/١٩٨، والبغوي

٨٣٠٦٤- عن أبي رافع -من طريق ثابت البُناني- قال: وتَّد فرعونُ لامرأته أربعةَ أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًا عظيمة حتى ماتت(٥). (ز)

٨٣٠٦٥- عن سعيد بن جُبَير -من طريق محمود- (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ)، قال: كان يجعل رِجلًا هنا ورِجلًا هنا، ويَدًا هنا ويَدًا هنا، بالأوتاد(٦). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٦٦- عن سعيد بن جُبَير -من طريق رجل- قال: إنما سُمّي فرعون: ذا الأوتاد؛ لأنه كان يُبنى له المنابر يَذبح عليها الناس(٧). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٦٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ)، قال: كان يَتِد الناس بالأوتاد(٨). (١٥/٤١٣)

٨٣٠٦٨- عن الحسن البصري، قال: كان يُعَذِّب بالأوتاد(٩). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٦٩- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- قال: ذي البناء، كانت مظالّ يُلعب له تحتها، وأوتاد تُضرب له(١٠). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٧٠- قال قتادة بن دعامة: (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ) كان إذا غضب على أحد أوتد له في الأرض أربعة أوتاد على يديه ورجليه(١١). (ز)

٨٣٠٧١- قال محمد بن كعب القُرَظيّ: يعني: ذا البناء المحكم(١٢). (ز)

٨٣٠٧٢- عن إسماعيل السُّدِّيّ، قال: كان فرعون إذا أراد أن يقتل أحدًا ربطه بأربعة أوتاد على صخرة، ثم أرسَل عليه صخرة مِن فوقه، فشَدخه، وهو ينظر إليها، قد رُبِط بكلّ وتد منها قائمة(١٣). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٧٣- قال مقاتل بن سليمان: (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ) ذكر فرعون، واسمه: مصعب بن جبر، ويقال: الوليد بن مصعب، وذلك أنه أوثق الماشطة على أربع قوائم مستلقية، ثم سرَّح عليها الحيّات والعقارب، فلم يزلنَ يلسعنها ويلدغنها، ويدخلون مِن قُبُلها ويخرجون مِن فِيها، حتى ذابت كما يذوب الرصاص؛ لأنها تكلّمتْ بالتوحيد، وذلك أنها كانتْ تمشط هيجل بنت فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله، وخيبة لمن كفر بالله. فقالت ابنة فرعون: وأي إله هذا الذي تذكرين؟ قالت: إله موسى. فذهبتْ، فأخبرتْ أباها، فكان مِن أمرها ما كان. يقول: إنه أوثق امرأة على أربع قوائم مِن أجل أنها عرفتني(١٤)٧١٦١. (ز)

٧١٦١ اختُلف في معنى: (ذِي الأَوْتادِ)، ولم قيل لفرعون كذلك؟ على أقوال: الأول: ذي الجنود الذين يقوُّون له أمره؛ فالأوتاد في هذا الموضع: الجنود. الثاني: قيل له ذلك لأنه كان يوتد الناس بالأوتاد. الثالث: ذي البناء المحكم. الرابع: كانت مظالّ وملاعب يُلعَب له تحتها. الخامس: قيل له ذلك لأنه كان يُعذِّب الناس بالأوتاد. السادس: قيل له ذلك لأنه كان له بنيان يُعذِّب الناس عليه.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٧٣) -مستندًا إلى الأعرف من لغة العرب- القول الثاني، فقال: «عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي توتد، من خشب كانت أو حديد؛ لأنّ ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووُصِف بذلك لأنه إمّا أن يكون كان يُعذِّب الناس بها، كما قال أبو رافعٍ وسعيد بن جُبَير، وإمّا أن يكون كان يُلْعَبُ له بها».

*****

ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ (١١) فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ (١٢)

تفسير

٨٣٠٧٤- عن إسماعيل السُّدِّيّ، في قوله: (فَأَكْثَرُوا فِيها الفَسادَ)، قال: بالمعاصي(١). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٧٥- قال مقاتل بن سليمان: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ) يعني: الذين عملوا فيها بالمعاصي، (فَأَكْثَرُوا فِيها الفَسادَ) يقول: فأكثروا فيها المعاصي(٢). (ز)

*****

فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ (١٣)

تفسير

٨٣٠٧٦- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ)، قال: ما عُذِّبوا به(١). (١٥/٤١٣)

تفسير مجاهد ص٥٠٤، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/٣٦٦، وفتح الباري ٨/٧٠٢-، وابن جرير ٢٤/٣٧٤. وعلقه البخاري ٤/١٨٨٧. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

٨٣٠٧٧- عن قتادة بن دعامة، قال: كلّ شيء عذّب اللهُ به فهو سَوْط عذاب(٢). (١٥/٤١٥)

أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/٧٠٢-.

٨٣٠٧٨- عن إسماعيل السُّدِّيّ، في قوله: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ)، قال: وجَع عذاب(٣). (١٥/٤١٤)

٨٣٠٧٩- قال مقاتل بن سليمان: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ)، يعني: نِقمته، وكانت نِقمته عذابًا(٤). (ز)

٨٣٠٨٠- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ)، قال: العذاب الذي عذَّبهم به سمّاه: سَوْط عذاب(٥). (ز)

*****

إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ (١٤)

تفسير

٨٣٠٨١- عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: (والفَجْرِ) إلى قوله: (إذا يَسْرِ)، قال: هذا قَسمٌ على أنّ ربّك لبالمرصاد(١)٧١٦٢. (١٥/٤٠٨)

٧١٦٢ ذكر ابن القيم (٣/٢٩٦) أن «قوله تعالى: (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر)؛ قيل جوابه:(إن ربك لبالمرصاد)». ثم انتقد هذا القول -مستندًا إلى الدلالة العقلية والسياق- فقال: «وهذا ضعيف لوجهين: أحدهما: طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بجمل كثيرة، والثاني: قوله: (إن ربك لبالمرصاد) ذُكِرَ تقريرًا لعقوبة الله الأمم المذكورة، وهي عاد وثمود وفرعون، فذكر عقوبتهم ثم قال مقرِّرًا ومحذِّرًا: (إن ربك لبالمرصاد)، أفلا ترى تعلقه بذلك دون القسم؟!».

٨٣٠٨٢- عن عبد الله بن مسعود -من طريق سالم- في قوله: (والفَجْرِ)، قال: قَسَمٌ. وفي قوله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ): مِن وراء الصراط جسور؛ جِسرٌ عليه الأمانة، وجِسرٌ عليه الرَّحِم، وجِسرٌ عليه الرّبّ □(٢). (١٥/٤١٥) أخرجه الحاكم ٢/٥٢٣، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩١٤).

٨٣٠٨٣- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- قوله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)، قال: يسمع ويرى(٣). (١٥/٤١٥)

٨٣٠٨٤- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر- قال: إذا كان يوم القيامة يأمر الرّبّ بكرسيّه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: أنا الملك الدَّيّان، ديّان يوم الدين، وعزّتي وجلالي، لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة بظلامته، ولو ضربة بيد. فذلك قوله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)(٤). (١٥/٤١٦)

٨٣٠٨٥- عن الحسن البصري -من طريق معمر- (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)، قال: بمرصاد أعمال بني آدم(٥)٧١٦٣. (١٥/٤١٥)

٧١٦٣ ذكر ابنُ عطية (٨/٦٠٩) نقلًا عن اللغويين أنّ «المرصاد»: موضع الرصد، ثم وجَّهه بقوله: «أي أنه عند لسان كلِّ قائل، ومرصدٌ لكل فاعل، وعلى هذا التأويل في المرصاد جاء جواب عامر بن قيس لعثمان حين قال له: أين ربّك، يا أعرابي؟ قال: بالمرصاد». ثم ذكر احتمالًا آخر: «أن يكون» المرصاد «في الآية اسم فاعل». ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى قال: لَبِالرّاصد، فعبَّر ببناء مبالغة، وروي في بعض الحديث «إنّ على جسر جهنم ثلاث قناطر، على إحداها الأمانة، وعلى الأخرى الرَّحِم، وعلى الأخيرة الرّبّ تعالى، فذلك قوله: (إن رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)»».

٨٣٠٨٦- قال عطاء بن أبي رباح: لا يفوته أحد(٦). (ز)

٨٣٠٨٧- عن أيفع بن عبدٍ الكلاعيّ -من طريق صفوان بن عمرو- قال: إنّ لجهنم سبع قناطر، والصراط عليهن، فيُحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول: (وقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصافات:٢٤]، فيُحاسبون على الصلاة، ويُسألون عنها، فيَهلك فيها مَن هلك، وينجو مَن نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسِبوا على الأمانة؛ كيف أدّوها، وكيف خانوها، فيَهلك مَن هلك، وينجو مَن نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرَّحِم؛ كيف وصلُوها، وكيف قطعوها، فيَهلك مَن هلك، وينجو مَن نجا، والرَّحِم يومئذ مُتدلِّية إلى الهُوِيِّ في جهنم، تقول: اللهم، مَن وصَلني فصِلْه، ومَن قطعني، فاقطعه. وهي التي يقول الله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)(٧). (١٥/٤١٧)

٨٣٠٨٨- عن سالم بن أبي الجعد، في قوله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)، قال: إنّ لجهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرَّحِم، وقنطرة فيها الرّبّ -تبارك وتعالى-، وهي المرصاد، لا ينجو منها إلا ناجٍ، فمَن نجا مِن ذينك لم ينج مِن هذا(٨). (١٥/٤١٦)

٨٣٠٨٩- عن إسماعيل السُّدِّيّ: أرصد النار على طريقهم حتّى يهلكهم(٩). (ز) تفسير الثعلبي ١٠/٢٠٠، وتفسير البغوي ٨/٤٢١

٨٣٠٩٠- عن عمرو بن قيس -من طريق الحكم بن بشير- قال: بلغني: أنّ على جهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة عليها الأمانة، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا أمين، يا ربّ، هذا خائن. وقنطرة عليها الرَّحِم، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا واصل، يا ربّ، هذا قاطع. وقنطرة عليها الرّبّ: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)(١٠). (١٥/٤١٦)

٨٣٠٩١- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ) عليه طريق العباد، لا يفوته أحد(١١). (ز)

٨٣٠٩٢- عن مقاتل بن سليمان، قال: أقسم الله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)، يعني: الصراط، وذلك أنّ جسر جهنم عليه سبع قناطر، على كلّ قنطرة ملائكة قيام، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البَرق، يسألون الناس في أول قنطرة عن الإيمان، وفي الثانية يسألونهم عن الصلوات الخمس، وفي الثالثة يسألونهم عن الزكاة، وفي الرابعة يسألونهم عن شهر رمضان، وفي الخامسة يسألونهم على الحج، وفي السادسة يسألونهم عن العمرة، وفي السابعة يسألونهم عن المظالم، فمَن أتى بما سُئل عنه كما أُمِر جاز على الصراط، وإلا حُبِس، فذلك قوله: (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ)(١٢). (١٥/٤١٨)

٨٣٠٩٣- عن سفيان [الثوري] -من طريق مهران- (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ): يعني: جهنم عليها ثلاث قناطر؛ قنطرة فيها الرحمة، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرّبّ -تبارك وتعالى-(١٣). (ز)

آثار متعلقة بالآية

٨٣٠٩٤- عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، إنّ المؤمن لدى الحقّ أسير. يا معاذ، إنّ المؤمن لا يَسكن رَوْعه ولا يأمن اضطرابه حتى يُخَلّف جسر جهنم خلف ظهره. يا معاذ، إنّ المؤمن قيَّده القرآن عن كثير من شهواته، وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله ، فالقرآن دليله، والخوف محجّته، والشوق مطِيّته، والصلاة كهفه، والصوم جُنّته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربّه مِن وراء ذلك كلّه بالمرصاد»(١٤). (ز)

أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٤/٣٥٥ (٣٥٤٠)، وأبو نعيم في الحلية ١٠/٢٦-٢٧، ٣١، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٣٩٧- واللفظ له.

قال ابن كثير قبل إيراده الحديث: «وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا، وفي إسناده نظر وفي صحته ...». وقال الألباني في الضعيفة ١٢/٤٢٦ (٥٦٨٥): «ضعيف».

التفسير المحرر

(وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤).

غريب الكلمات:

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: الشَّفعُ: هو الزَّوجُ. والوَتْرُ والوِتْرُ: هو الفَردُ، تَقولُ: كان فَرْدًا فشَفَعْتُه، فالشَّفعُ في اللُّغةِ: اثنانِ، والوتْرُ: واحدٌ، والشَّفْعُ: ضمُّ الشَّيءِ إلى مِثْلِه، وأصلُ (شفع): يدُلُّ على مُقارَنةِ الشَّيئَيْنِ .

حِجْرٍ: أي: عَقْلٍ، وأصلُ (حجر): يدُلُّ على المنعِ، وسُمِّيَ العَقلُ حِجرًا؛ لأنَّه يَمنَعُ الإنسانَ مِن تعاطي ما لا يليقُ به مِن الأفعالِ والأقوالِ، كما يُسَمَّى عَقلًا؛ لأنَّه يَعقِلُه عن القبائِحِ .

الْعِمَادِ: أي: أعمدةِ بيوتِهم مِن الشَّعرِ، أو بنيانِهم، أو القُدودِ الطِّوالِ، على تشبيهِ قاماتِهم بالأعمِدةِ، وأصلُ (عمد): يدُلُّ على استقامةٍ في الشَّيءِ .

جَابُوا الصَّخْرَ: أي: قَطَعوا صَخرَ الجِبالِ، واتَّخَذوا فيها بُيُوتًا نَحَتوها مِنَ الصَّخرِ، والجَوْبُ: القَطعُ، تقولُ: جُبتُ البِلادَ أَجوبُها: إذا قطَعْتَها، ومنه الجَوابُ؛ لأنَّه يَقطَعُ السُّؤالَ، وأصلُ (جوب): يدُلُّ على خَرقِ الشَّيءِ .

ذِي الْأَوْتَادِ: أي: صاحِبِ البِناءِ المُحكَمِ والمُلكِ الثَّابِتِ، والعَرَبُ تَقولُ: هم في عزٍّ ثابِتِ الأوتادِ، ومُلكٍ ثابتِ الأوتادِ، يُريدونَ أنَّه دائِمٌ شَديدٌ. وقيلَ: صاحِبُ القُوَّةِ والبَطشِ والجُنودِ والجُموعِ الكثيرةِ الَّذين يُقَوُّونَ أمْرَه، ويَشُدُّونَ مُلْكَه، كما يُقَوِّي الوَتِدُ الشَّيءَ، والوَتِدُ: عُودٌ غليظٌ شيئًا، أسْفَلُه أدَقُّ مِن أعلاه، يُدَقُّ في الأرضِ لِتُشَدَّ به أطْنابُ الخَيمةِ، وأصلُ (وتد): يدُلُّ على الثَّباتِ والرُّسوخِ .

سَوْطَ عَذَابٍ: أي: نَصيبَ عذابٍ أو: شِدَّتَه؛ لأنَّ السَّوطَ كان عندَهم نهايةَ ما يُعَذَّبُ به، والسَّوطُ كَلِمةٌ تقولُها العَرَبُ لكُلِّ نَوعٍ مِن أنواعِ العذابِ، وأصلُ

ذلك أنَّ السَّوطَ هو عذابُهم الَّذي يُعَذِّبونَ به، فجرى لكُلِّ عذابٍ؛ إذ كان فيه عندَهم غايةُ العذابِ، وأصلُ (سوط): يدُلُّ على مُخالَطةِ الشَّيءِ الشَّيءَ .

لَبِالْمِرْصَادِ: أي: على طريقِ العِبادِ لا يَفوتُه أحدٌ منهم، يرصُدُ عمَلَ كُلِّ إنسانٍ؛ حتَّى يُجازيَه به، والمَرْصَدُ والمِرْصادُ: الطَّريقُ، أو: المِرْصادُ: الموضِعُ الَّذي يُرصَدُ النَّاسُ فيه، وأصلُ (رصد): يدُلُّ على التَّهَيُّؤِ لِرِقْبةِ شَيءٍ .

<u>مشكل الإعراب:</u>

قَولُه تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ

إِرَمَ: بَدَلٌ مِن «عادٍ» مجرورٌ، وعلامةُ جَرِّه الفتحةُ نيابةً عن الكسرةِ؛ لأنَّه ممنوعٌ مِن الصَّرفِ للعَلَميَّةِ والتَّأنيثِ. «ذَاتِ» : نَعتٌ لـ إِرَمَ مجرورٌ، وعلامةُ جَرِّه الكَسرةُ.

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ

الَّذِينَ: اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ في محَلِّ جَرٍّ نَعتٌ للجَمعِ المتقَدِّمِ مِن عادٍ وثمودَ وفِرعَونَ، ويجوزُ أن يكونَ نعتًا لفِرعَونَ؛ لأنَّ المرادَ هو وقومُه، واكتفى بذِكْرِه عن ذِكْرِهم، ويجوزُ قَطْعُه عن الوَصفِ للذَّمِّ، فيكونُ مَنصوبَ المحَلِّ على إضمارِ «أذُمُّ»، أو مَرفوعَه على إضمارِ «هم» .

<u>المعنى الإجمالي:</u>

افتَتَح اللهُ تعالى هذه السُّورةَ الكريمةَ مُقسِمًا بالفَجْرِ المعروفِ، وبلَيالٍ عَشْرٍ، وهي عَشْرُ ذي الحِجَّةِ، وبالشَّفعِ والوَتْرِ، وباللَّيلِ وَقتَ سَيْرِه وسَرَيانِه، فهل في قَسَمِ اللهِ بتلك الأشياءِ مَقنَعٌ وكِفايةٌ لِذي عَقلٍ ولُبٍّ؛ فيَنزَجِرَ ويَرتَدِعَ؟

ثمَّ يُخبِرُ اللهُ سبحانَه وتعالى عمَّا أنزله بالمكذِّبينَ مِن العذابِ، فيقولُ: ألَمْ تَعلَمْ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم رَبُّك مِن قَبيلةِ عادٍ؛ إرَمَ ذاتِ الأعمدةِ، الَّتي لم يُخلَقْ ما يُماثِلُها في سائرِ البُلدانِ؟ وكيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن قَبيلةِ ثمودَ الَّذين شَقُّوا الجِبالَ في وادِيهم، وصَنَعوا فيها بُيوتًا؟ وكيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن فِرعَونَ صاحِبِ الأوتادِ؟

هؤلاء الَّذين سَلَف ذِكْرُهم مِن عادٍ وثَمودَ وفِرعونَ قد تجاوَزوا حَدَّهم في الظُّلمِ والطُّغيانِ، فأكثَروا في البِلادِ العمَلَ بالكُفْرِ والعِصيانِ؛ فأنزَلَ رَبُّك عليهم -يا محمَّدُ- عَذابَه الشَّديدَ؛ فهَلَكوا جَميعًا، إنَّ رَبَّك مُراقِبٌ لأعمالِ الطَّاغينَ المُفسِدينَ في الدُّنيا، وسيُهلِكُهم.

تفسير الآيات:

وَالْفَجْرِ (1).

أي: أُقسِمُ بالفَجْرِ، وهو وقتُ ابتداءِ ظُهورِ النُّورِ في الأُفُقِ الشَّرقيِّ قبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/344)، ((تفسير ابن جزي)) (2/478)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 28)، ((تفسير ابن كثير)) (8/390)، ((تفسير الثعالبي)) (5/585)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/313). قال ابنُ عثيمين:

(الفجر... بيْنَه وبْينَ طُلوعِ الشَّمسِ ما بيْنَ ساعةٍ واثنتَينِ وثلاثينَ دقيقةً، إلى ساعةٍ وسَبْعَ عَشْرةَ دقيقةً، ويختَلِفُ باختلافِ الفُصولِ؛ فأحيانًا تَطولُ الحِصَّةُ ما بيْن الفَجرِ وطُلوعِ الشَّمسِ، وأحيانًا تَقصُرُ حَسَبَ الفُصولِ). ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 186). وقال ابن جُزَي: (أقسَمَ اللهُ تعالى بالفَجْرِ، وهو الطَّالِعُ كُلَّ يومٍ، كما أقسَمَ بالصُّبحِ. وقيل: أراد صلاةَ الفَجرِ. وقيل: أراد النَّهارَ كُلَّه. وقيل: فَجْرَ يومِ الجُمُعةِ، وقيل: فَجْرَ يومِ النَّحرِ، وقيل: فَجْرَ ذي الحِجَّةِ، ولا دليلَ على هذه التَّخصيصاتِ). ((تفسير ابن جزي)) (2/478). ممَّن اختار القَولَ المذكورَ في الفَجْرِ، وأنَّه الفَجْرُ المعروفُ الطَّالِعُ كُلَّ يومٍ، وهو الصُّبحُ: السَّمَرْقَنديُّ، والواحِديُّ، والزَّمَخْشَريُّ، والرَّسْعَنيُّ، وابنُ جُزَي، وجلالُ الدِّينِ المحَلِّيُّ، والعُلَيميُّ، وأبو السُّعودِ، والشَّوكانيُّ، والألوسيُّ، والقاسميُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عُثيمين. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/577)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1199)، ((تفسير الزمخشري)) (4/746)، ((تفسير الرسعني)) (8/607)، ((تفسير ابن جزي)) (2/478)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 806)، ((تفسير العليمي)) (7/354)، ((تفسير أبي السعود)) (9/153)، ((تفسير الشوكاني)) (5/526)، ((تفسير الألوسي)) (15/334)، ((تفسير القاسمي)) (9/464)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/312)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 186). قال الواحديُّ: (وَالْفَجْرِ قال ابنُ عَبَّاسٍ: فَجْرُ النَّهارِ. وهو روايةُ أبى نَصرٍ وأبي صالحٍ، وقَولُ عِكْرِمةَ، وزَيدِ بنِ أسلَمَ، ومحمَّدِ بنِ كَعبٍ، والأسْوَدِ بنِ يَزيدَ، قالوا: هو انفِجارُ الصُّبحِ مِن كُلِّ يومٍ). ((البسيط)) (23/483). وقال ابنُ كثيرٍ: (أمَّا الفَجْرُ فمَعروفٌ، وهو: الصُّبحُ. قاله عليٌّ، وابنُ عبَّاسٍ، ومجاهِدٌ، وعِكْرِمةُ،

والسُّدِّيُّ). ((تفسير ابن كثير)) (8/390). وقال الرَّازي: (أقسَمَ اللهُ تعالى به لِما يَحصُلُ به مِن انقِضاءِ اللَّيلِ وظُهورِ الضَّوءِ، وانتِشارِ النَّاسِ وسائِرِ الحيواناتِ مِن الطَّيرِ والوُحوشِ في طَلَبِ الأرزاقِ، وذلك مُشاكِلٌ لنُشورِ الموتى مِن قُبورِهم، وفيه عِبرةٌ لِمَن تأمَّل، وهذا كقَولِه: وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ [المدثر: 34] ، وقال في مَوضِعٍ آخَرَ: وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [التكوير: 18] ، وتمدَّحَ في آيةٍ أُخْرى بكَونِه خالِقًا له، فقال: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [الأنعام: 96]). ((تفسير الرازي)) (31/148). وقيل: إنَّه (فَجرُ يَومٍ مُعَيَّنٍ، وعلى هذا القَولِ ذَكَروا وُجوهًا:

الأوَّلُ: أنَّه فَجْرُ يَومِ النَّحْرِ؛ وذلك لأنَّ أمْرَ المَناسِكِ مِن خَصائِصِ مِلَّةِ إبراهيمَ، وكانت العَرَبُ لا تَدَعُ الحَجَّ، وهو يومٌ عظيمٌ يأتي الإنسانُ فيه بالقُربانِ، كأنَّ الحاجَّ يريدُ أن يتقرَّبَ بذَبْحِ نَفْسِه، فلمَّا عَجَز عن ذلك فَدى نَفْسَه بذلك القُربانِ، كما قال تعالى: وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [الصافات: 107] .

الثَّاني: أراد فَجْرَ ذي الحِجَّةِ؛ لأنَّه قَرَن به قَولَه: وَلَيَالٍ عَشْرٍ، ولأنَّه أوَّلُ شَهرِ هذه العِبادةِ المُعَظَّمةِ.

الثَّالِثُ: المرادُ: فَجْرُ المحَرَّمِ؛ أقسَمَ به لأنَّه أوَّلُ يَومٍ مِن كُلِّ سَنةٍ، وعِندَ ذلك يحدُثُ أُمورٌ كثيرةٌ ممَّا يتكرَّرُ بالسِّنينَ؛ كالحَجِّ والصَّومِ والزَّكاةِ، واستِئنافِ الحِسابِ بشُهورِ الأهِلَّةِ). ((تفسير الرازي)) (31/148).

وممَّن خَصَّص الفَجْرَ هنا بفَجرِ يومِ النَّحرِ، وهو العاشِرُ مِن شَهرِ ذي الحِجَّةِ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والبِقاعيُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/687)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/21). قال ابنُ كثيرٍ: (عن مَسروقٍ، ومجاهِدٍ، ومحمَّدِ بنِ كَعبٍ: المرادُ به فَجْرُ يَومِ النَّحْرِ خاصَّةً، وهو خاتِمةُ اللَّيالي العَشْرِ). ((تفسير ابن كثير)) (8/390). وقال

الواحديُّ: (قال [أي: ابنُ عَبَّاسٍ] في روايةِ العَوْفيِّ: صلاةُ الفَجْرِ. وقال في روايةِ عُثمانَ بنِ مُحَيْصِنٍ: هو فَجْرُ المحرَّمِ، وهو قَولُ قَتادةَ، قال: أقسَمَ بأوَّلِ يومٍ مِنَ المحرَّمِ تنفَجِرُ منه السَّنَةُ. وقال في روايةِ عَطاءٍ: يريدُ صَبيحةَ يَومِ النَّحْرِ. قال الضَّحَّاكُ: هو فَجْرُ ذي الحِجَّةِ). ((البسيط)) (23/484، 485). قال ابن رجب: (وعلى جميعِ هذه الأقوالِ فالعَشْرُ يَشتَمِلُ على الفَجْرِ الَّذي أقسَمَ اللهُ به). ((لطائف المعارف)) (ص: 268).

وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2).

أي: وأُقسِمُ بلَيالٍ عَشْرٍ، وهي عَشْرُ ذي الحِجَّةِ .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/348)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (4/386)، ((تفسير ابن كثير)) (8/390)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 188، 189). نقل ابنُ جريرٍ إجماعَ الحُجَّةِ مِن أهلِ التَّأويلِ على أنَّها عَشرُ ذي الحِجَّةِ، ونقله الواحديُّ عن أكثَرِ المُفَسِّرينَ، وذهب إليه: ابنُ كثير، وابنُ رجبٍ ونَقَله عن جمهورِ المُفَسِّرينَ، واختاره البِقاعيُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/348)، ((الوسيط)) للواحدي (4/478)، ((تفسير ابن كثير)) (8/390)، ((لطائف المعارف)) لابن رجب (ص: 268)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/22)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/313). قال الواحِديُّ: (وَلَيَالٍ عَشْرٍ وهو عَشْرُ ذي الحِجَّةِ في قَولِ جُمهورِ المفَسِّرينَ: عِكْرِمةَ، ومُقاتِلٍ، والكَلبيِّ، ومَسروقٍ، والضَّحَّاكِ، ومجاهِدٍ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ، واختيارُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ، قالوا: هي عَشْرُ الأَضحى). ((البسيط)) (23/485، 486). ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان))

(4/687)، ((معاني القرآن)) للفراء (3/259)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/321). وقال ابنُ رَجَبٍ: (هذا الصَّحيحُ الَّذي عليه جمهورُ المفَسِّرينَ مِن السَّلَفِ وغَيرِهم، وهو الصَّحيحُ عن ابنِ عَبَّاسٍ، رُوِيَ عنه مِن غَيرِ وَجهٍ. والرِّوايةُ عنه: «أنَّه عَشْرُ رَمَضانَ» إسنادُها ضَعيفٌ). ((لطائف المعارف)) (ص: 268). وقيل: هي العَشْرُ الأواخِرُ مِن رَمَضانَ. وممَّن ذهب إليه: ابنُ العَرَبيِّ المالِكيُّ، وابنُ عُثيمين. يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (4/386)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 188، 189). ويُنظر أيضًا: ((تفسير السعدي)) (ص: 923).

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3).

أي: وأُقسِمُ بالشَّفعِ، وأُقسِمُ بالوَتْرِ .

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (3/259)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 526)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1199)، ((تفسير أبي حيان)) (10/470)، ((تفسير ابن كثير)) (8/391)، ((تفسير الشوكاني)) (5/527). قال الزمخشري: (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: إمَّا الأشياءُ كُلُّها شَفْعُها ووَتْرُها، وإمَّا شَفعُ هذه اللَّيالي ووَتْرُها، ويجوزُ أن يكونَ شَفعُها يومَ النَّحرِ، ووَتْرُها يومَ عَرَفةَ؛ لأنَّه تاسِعُ أيَّامِها، وذاك عاشِرُها). ((تفسير الزمخشري)) (4/746).

وممَّن ذهب إلى القَولِ الأوَّلِ -أي: أنَّ الشَّفعَ والوَتْرَ يَعُمُّ كلَّ الأشياءِ شَفْعَها ووَتْرَها-: ابنُ جريرٍ، والشَّوكانيُّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/355)، ((تفسير الشوكاني)) (5/527).

وممَّن قال بنَحوِ هذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ، وأنَّ المرادَ القَسَمُ بالخَلقِ، فكُلُّ شَيءٍ خَلَق اللهُ شَفْعٌ ووَتْرٌ: مجاهِدٌ، والحَسَنُ، وابنُ زَيدٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/352)، ((تفسير الثعلبي)) (10/193).

قال ابنُ جَريرٍ: (والصَّوابُ مِنَ القَولِ في ذلك أن يُقالَ: إنَّ اللهَ تعالى ذِكْرُه أقسَمَ بالشَّفْعِ والوَتْرِ، ولم يَخْصُصْ نَوعًا مِن الشَّفْعِ ولا مِنَ الوَتْرِ دُونَ نَوعٍ بخَبَرٍ ولا عَقلٍ، فكُلُّ شَفعٍ ووَتْرٍ فهو ممَّا أقسَمَ به، ممَّا قال أهلُ التَّأويلِ إنَّه داخِلٌ في قَسَمِه هذا؛ لعُمومِ قَسَمِه بذلك). ((تفسير ابن جرير)) (24/355، 356).

وممَّن ذهب إلى أنَّ المرادَ بالشَّفْعِ يَومُ النَّحرِ، وبالوَتْرِ يَومُ عَرَفةَ: الفرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ، والزَّجَّاجُ، والهَرَويُّ، والواحِديُّ ونَسَبَه لجُمهورِ المفَسِّرينَ. يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (3/259)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 526)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/321)، ((الغريبين في القرآن والحديث)) للهروي (3/1014)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1199)، ((البسيط)) للواحدي (23/490).

وممَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عَبَّاسٍ في رِوايةٍ عنه، وعِكْرِمةُ، والضَّحَّاكُ في روايةٍ عنه. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/349).

وقيل: الشَّفْعُ هو الخَلْقُ، والوَتْرُ هو اللهُ. وممَّن اختاره: الكرمانيُّ، والعُلَيميُّ، والقاسميُّ. يُنظر: ((تفسير الكرماني)) (2/1337)، ((تفسير العليمي)) (7/354)، ((تفسير القاسمي)) (9/465). وقال البِقاعيُّ: (وَالشَّفْعِ أي: لِمَن تعَجَّل في يومَينِ وَالْوَتْرِ أي: لِمن أتَمَّ. قاله ابنُ الزُّبَيرِ). ((نظم الدرر)) (22/22). وقيل غيرُ ذلك في معنى الشَّفعِ والوتْرِ. يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/438).

قال ابنُ رجبٍ: (وقد قيلَ في الشَّفْعِ والوتْرِ أقوالٌ كثيرةٌ، وأكثَرُها لا يَخرُجُ عن أن يكونَ العَشْرُ أو بَعْضُه مُشتَمِلًا على الشَّفْعِ والوَتْرِ أو أحَدِهما). ((لطائف المعارف)) (ص: 268).

وقال ابنُ القَيِّمِ: (ذَكَر سُبحانَه مِن جُملةِ هذه الأقسامِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ؛ إذ هذه الشَّعائِرُ المعَظَّمةُ منها شَفعٌ ومنها وَتْرٌ في الأمكِنةِ والأزمِنةِ والأعمالِ) وذَكَر الشَّفعَ منها والوتْرَ، ثمَّ قال: (وروى مجاهِدٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ: الوترُ: آدَمُ، وشُفِعَ بزَوْجَتِه حَوَّاءَ. وقال في روايةٍ أخرى: الشَّفعُ: آدَمُ وحَوَّاءُ، والوترُ: اللهُ وَحْدَه. وعنه روايةٌ ثالِثةٌ: الشَّفعُ: يَومُ النَّحرِ، والوترُ: اليومُ الثَّالِثُ. وقال عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ وقَتادةُ: الشَّفعُ والوترُ: هي الصَّلاةُ... وقال عَطيَّةُ العَوْفيُّ: الشَّفعُ: الخَلْقُ، قال اللهُ تعالى: وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا [النبأ: 8]، والوَتْرُ: هو اللهُ. وهذا قَولُ الحَكَمِ، قال: كُلُّ شَيءٍ شَفْعٌ، واللهُ وَتْرٌ. وقال أبو صالحٍ: خلَقَ اللهُ مِن كُلِّ شَيءٍ زَوْجَينِ اثنَينِ، واللهُ وَتْرٌ واحِدٌ. وهذا قَولُ مجاهِدٍ ومَسروقٍ. وقال الحسَنُ: الشَّفعُ والوترُ: العَدَدُ كُلُّه مِن شَفعٍ ووَترٍ. وقال ابنُ زَيدٍ: الشَّفعُ والوترُ: الخَلْقُ كُلُّه مِن شَفعٍ ووَترٍ. وقال مقاتِلٌ: الشَّفْعُ: الأيَّامُ واللَّيالي، والوَترُ: اليَومُ الَّذي لا لَيلةَ بَعْدَه، وهو يومُ القيامةِ). ثمَّ قال ابنُ القَيِّمِ: (وذُكِرَت أقوالٌ أُخَرُ هذه أصولُها، ومدارُها كلِّها على قولَينِ: أحَدُهما: أنَّ الشَّفْعَ والوتْرَ نَوعانِ للمخلوقاتِ والمأموراتِ. والثَّاني: أنَّ الوَتْرَ الخالِقُ، والشَّفْعَ المخلوقُ، وعلى هذا القَولِ فيكونُ قد جَمَع في القَسَمِ بيْنَ الخالِقِ والمخلوقِ). ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 30) فما بَعْدَها.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4).

أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ وَقتَ سَيْرِه وسَرَيانِه .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/356)، ((الوسيط)) للواحدي (4/480)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 30، 31)، ((تفسير ابن كثير)) (8/393، 394)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/315)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 190). ممَّن اختار أنَّ المرادَ باللَّيلِ: العُمومُ، أي: كُلُّ ليلةٍ، دُونَ تَخصيصٍ بلَيلةٍ مُعَيَّنةٍ: ابنُ جريرٍ، والزَّجَّاجُ، والواحِديُّ ونَسَبه للأكثَرينَ، وابنُ الجوزيِّ، والرَّسْعَنيُّ، والقُرْطبيُّ، وابنُ جُزَي، والخازِنُ، والشَّوكانيُّ، والسعديُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عُثيمين. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/356)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/321)، ((الوسيط)) للواحدي (4/480)، ((البسيط)) للواحدي (23/495)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/439)، ((تفسير الرسعني)) (8/611)، ((تفسير القرطبي)) (20/42)، ((تفسير ابن جزي)) (2/478)، ((تفسير الخازن)) (4/424)، ((تفسير الشوكاني)) (5/528)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/315)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 190). قال الرَّازيُّ: (أكثَرُ المفَسِّرينَ على أنَّه ليس المرادُ منه ليلةً مخصوصةً، بل العُمومُ، بدليلِ قَولِه: وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ). ((تفسير الرازي)) (31/150). وقيل: المرادُ باللَّيلِ هنا لَيلةُ الأضْحى. وممَّن ذهب إلى هذا: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/687). وقال ابنُ عَطِيَّةَ: (قال مجاهِدٌ وعِكْرِمةُ والكَلبيُّ: أراد بهذا لَيلةَ جَمعٍ [أي: ليلةَ مُزدَلِفةَ]؛ لأنَّه يُسْرى فيها). ((تفسير ابن عطية)) (5/477). ويُنظر: ((البسيط)) للواحدي (23/495). وقيل: المرادُ: ليلةُ

النَّفرِ إذا خرَج الحاجُّ إلى بلَدِه. وممَّن ذهب إلى هذا: البِقاعيُّ، قال: (وَاللَّيْلِ أي: مِن لَيلةِ النَّفْرِ إِذَا يَسْرِ أي: يَنقضي كما ينقضي لَيلُ الدُّنيا وظلامُ ظُلمِها، فيَخلُفُه الفَجْرُ ويسري فيه الَّذين آبُوا إلى اللهِ راجِعينَ إلى ديارِهم بعدَ حَطِّ أوزارِهم، وقد رجع آخِرُ القَسَمِ على أوَّلِه). ((نظم الدرر)) (22/22، 23). قال ابنُ الجوزيِّ: (وفي قولِه عزَّ وجلَّ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ قَولانِ: أحَدُهما: أنَّ الفِعلَ له، فيه قولانِ: أحَدُهما: إذا يَسري ذاهبًا، قاله الجُمهورُ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجِ. والثَّاني: إذا يَسْري مُقبِلًا، قاله قتادةُ. والقَولُ الثَّاني: أنَّ الفِعلَ لغَيرِه، والمعنى: إذا يُسْرى فيه، كما يقالُ: لَيلٌ نائمٌ، أي: يُنامُ فيه، قاله الأخفَشُ، وابنُ قُتَيبةَ). ((تفسير ابن الجوزي)) (4/439). ويُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/321)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 526)، ((تفسير الثعلبي)) (10/195). وقال ابنُ كثيرٍ: (قَولُه: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ قال العَوْفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ: أي: إذا ذهب. وقال عَبدُ اللهِ ابنُ الزُّبَيرِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ حتَّى يُذهِبَ بَعْضُه بَعضًا. وقال مجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، وقتادةُ، ومالِكٌ عن زَيدِ بنِ أسلَمَ وابنِ زَيدٍ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ إذا سار. وهذا يمكِنُ حَمْلُه على ما قاله ابنُ عَبَّاسٍ، أي: ذهب. ويحتَمِلُ أن يكونَ المرادُ: إذا سار، أي: أقبَلَ. وقد يُقالُ: إنَّ هذا أنسَبُ؛ لأنَّه في مقابلةِ قَولِه: وَالْفَجْرِ؛ فإنَّ الفَجْرَ هو إقبالُ النَّهارِ وإدبارُ اللَّيلِ، فإذا حُمِلَ قَولُه: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ على إقبالِه، كان قَسَمًا بإقبالِ اللَّيلِ وإدبارِ النَّهارِ، وبالعَكْسِ، كقَولِه: وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [التكوير:17، 18]، وكذا قال الضَّحَّاكُ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ أي: يجري). ((تفسير ابن كثير)) (8/393)

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5).

أي: هل في قَسَمِ اللهِ بتلك الأشياءِ مَقنَعٌ وكِفايةٌ لِذي عَقلٍ ولُبٍّ؛ فيَنزَجِرَ ويَرتَدِعَ؟ فإنَّ مَنْ كان كذلك عَلِمَ أنَّ ما أقسَمَ اللهُ به أمورٌ عَظيمةٌ فيها عجائِبُ ودلائِلُ على الحَقِّ، فيتفَكَّرُ فيها، ويعتَبِرُ بها .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/358)، ((الوسيط)) للواحدي (4/481)، ((تفسير ابن عطية)) (5/477)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (10/436)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923). قال ابنُ القيِّم: (لَمَّا تضَمَّن هذا القَسَمُ ما جاء به إبراهيمُ ومحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهما وسلَّم، كان في ذلك ما دَلَّ على المقسَمِ عليه؛ ولهذا عقَّب القَسَمَ بقَولِه تعالى: هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ؛ فإنَّ عَظَمةَ هذا المقسَمِ به يُعرَفُ بالنُّبُوَّةِ، وذلك يحتاجُ إلى حِجْرٍ يَحجُرُ صاحِبَه عن الغَفلةِ واتِّباعِ الهوى، ويحمِلُه على اتِّباعِ الرُّسُلِ؛ لئلَّا يُصيبَه ما أصاب مَن كَذَّبَ الرُّسُلَ؛ كعادٍ وفِرعَونَ وثمودَ). ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 32). قيل: جوابُ القَسَمِ قَولُه تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر: 14]. وممَّن ذهب إلى هذا: الواحديُّ، وضعَّفه ابنُ القيِّم. يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (4/481)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 28). قال الزمخشري: (المقسَمُ عليه محذوفٌ، وهو: لَيُعَذَّبُنَّ. يدُلُّ عليه قوله: أَلَمْ تَرَ إلى قَولِه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ). ((تفسير الزمخشري)) (4/747). وقال السعدي: (الظَّاهِرُ أنَّ المُقسَمَ به هو المقسَمُ عليه، وذلك جائِزٌ مُستعمَلٌ إذا كان أمرًا ظاهِرًا مُهِمًّا، وهو كذلك في هذا الموضِعِ). ((تفسير السعدي)) (ص: 923).

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6).

أي: ألم تَعلَمْ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم رَبُّك مِن قَبيلةِ عادٍ ؟!

كما قال تعالى: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة: 6 - 8].

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/361)، ((تفسير القرطبي)) (20/44)، ((تفسير ابن كثير)) (8/394). قال ابن عطية: (عادٌ قبيلةٌ، لا خِلافَ في ذلك). ((تفسير ابن عطية)) (5/477). ممَّن اختار القولَ المذكورَ في المخاطَبِ، وأنَّ الخِطابَ للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم-: ابنُ جرير، والنسفي، والخلوتي. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/361)، ((تفسير النسفي)) (3/638)، ((تفسير الخلوتي)) (10/422). وقال القرطبي، والخازن، والشربيني: الخِطابُ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، لكنَّ المرادَ به العمومُ. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (20/44) ((تفسير الخازن)) (4/424)، ((تفسير الشربيني)) (4/530). وقال ابن عثيمين: (الخِطابُ هنا لكُلِّ مَن يُوَجَّهُ إليه هذا الكِتابُ العزيزُ، وهم البَشَرُ كُلُّهم، بل والجِنُّ أيضًا. ألم تَرَ أيُّها المخاطَبُ). ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 190). وقال الشوكاني: (الخطابُ للنبيِّ، أو لكلِّ مَن يصلحُ له). ((تفسير الشوكاني)) (5/529). ممَّن اختار القَولَ المذكورَ، وأنَّ الرُّؤيةَ هنا بمعنى العِلْمِ: السَّمرقندي، والنَّسفي، والخازنُ، والكوراني، وأبو السُّعودِ، والقِنَّوْجي، والقاسمي. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/578)، ((تفسير النسفي)) (3/638)، ((تفسير الخازن)) (4/424)، ((تفسير الكوراني)) (ص: 384)، ((تفسير أبي السعود)) (9/154)، ((تفسير القِنَّوْجي)) (15/220)، ((تفسير القاسمي)) (9/466). وقال الخازن: (قوله عزَّ

وجلَّ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ أي: ألم تعلَمْ، وإنَّما أُطلِق لفظُ الرُّؤيةِ على العِلمِ؛ لأنَّ أخبارَ عادٍ وثمودَ وفِرعونَ كانت معلومةً عندَهم). ((تفسير الخازن)) (4/424). وجوَّز ابنُ عاشور أنْ تكونَ الرُّؤيةُ بَصَرِيَّةً، والمعنَى: ألم تَرَ آثارَ ما فَعَل رَبُّكَ بعادٍ. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (30/318).

إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7).

أي: إرمَ ذاتِ الأعمدةِ .

كما قال الله تعالى: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ [الشعراء: 128-129].

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/364-366)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1200)، ((تفسير ابن جزي)) (2/479)، ((تفسير ابن كثير)) (8/394)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 191).

قيل: إِرَمَ: هي اسمُ القبيلةِ كُلِّها. وممَّن ذهب إلى هذا: الزمخشريُّ، والعُلَيمي، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (4/747)، ((تفسير العليمي)) (7/356)، ((تفسير القاسمي)) (9/466)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/318)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 191). وذكر ابنُ عَطِيَّةَ أنَّ ممَّا يؤيِّدُ أنَّ إِرَمَ القَبيلةُ بعَينِها: قولَ اليهودِ للعَرَبِ: (سيَخرُجُ فينا نَبيٌّ نتَّبِعُه نَقْتُلُكم معه قَتْلَ عادِ إِرَمَ)، فهذا يقتضي

أنَّها قبيلةٌ، وذكَرَ أنَّه يتَّجِه على مَن قرأ بِعَادٍ * إِرَمَ أن يكون إِرَمَ أبًا لعادٍ أو جَدًّا غلب اسمُه على القبيلةِ. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/478).

وممَّن قال: إنَّ إرَمَ هو جَدُّ عادٍ: ابنُ إسحاقَ، والزَّمخشريُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((سيرة ابن هشام)) (1/7)، ((تفسير الزمخشري)) (4/747)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/318). قال الزَّمخشريُّ: (قيل لعَقِبِ عادِ بنِ عَوْصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ: عادٌ، كما يقالُ لبنى هاشِمٍ: هاشِمٌ. ثمَّ قيل للأوَّلينَ منهم عادٌ الأُولى وإرَمُ؛ تَسميةً لهم باسْمِ جَدِّهم). ((تفسير الزمخشري)) (4/747). وقال السَّمعانيُّ: (قَولُه تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ هو أبو عادٍ؛ لأنَّهم قالوا: هو عادُ ابنُ إرِمَ بنِ عوصِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ). ((تفسير السمعاني)) (6/219). وقال الشِّنقيطيُّ: (عادُ بنُ إرَمَ، وقيل: ابنُ عَوصِ بنِ إرَمَ. فهو مِن أولادِ إرَمَ. وإرَمُ: اسمُ رَجُلٍ تُسَمَّى به القبيلةُ، وعادٌ مِن ذرِّيَّتِه؛ ولذا قال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، ثمَّ أبدَلَ منها فقال: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ). ((العذب النمير)) (3/475).

وقيل: إِرَمَ: هي اسمُ قبيلةٍ مِن عادٍ. وممَّن ذهب إلى هذا: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ جرير. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/687)، ((تفسير ابن جرير)) (24/364). ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن كثير)) (8/395). وقال ابنُ عطيَّةَ: (قال جُمهورُ المفَسِّرينَ: إِرَمُ مدينةٌ لهم عظيمةٌ كانت على وَجْهِ الدَّهْرِ باليَمَنِ). ((تفسير ابن عطية)) (5/477).

وقيل غَيرُ ذلك. يُنظر: ((تفسير البغوي)) (5/249)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/439).

وذَاتِ الْعِمَادِ: قيل: معناها: ذاتُ الأعمِدةِ السَّيَّارةِ الَّتي يَنصِبونَ بها خيامَهم أثناءَ تنقُّلِهم. وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جريرٍ، وابنُ كثيرٍ. يُنظر:

((تفسير ابن جرير)) (24/366)، ((تفسير ابن كثير)) (8/394). وممَّن قال بنَحوِ هذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، ومجاهِدٌ في روايةٍ عنه، وقتادةُ، والكَلبيُّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/365)، ((البسيط)) للواحدي (23/501)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/440)، ((تفسير ابن كثير)) (8/395).

وقيل: المرادُ: ذاتُ الطُّولِ؛ لأنَّ قَومَ عادٍ كانوا طِوالَ القامةِ. وممَّن ذهب إلى هذا القَولِ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، وأبو عُبَيدةَ، والزَّجَّاجُ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/687)، ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (2/297)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/322). وممَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، ومجاهِدٌ في روايةٍ عنه. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/365)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/440)، ((تفسير ابن كثير)) (8/395).

وقيل: المرادُ: ذاتُ القُوَّةِ والشِّدَّةِ. وممَّن ذهب إليه: السعديُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/319). ويُنظر أيضًا: ((تفسير الماوردي)) (6/268). ومِمَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: الضَّحَّاكُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/366)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/440). والأقوالُ الثَّلاثةُ السَّابِقةُ في ذَاتِ الْعِمَادِ بِناءً على أنَّ إرَمَ قبيلةٌ. وقال البِقاعيُّ: (الْعِمَادِ أي: البناءِ العالي الثَّابِتِ بالأعمِدةِ الَّتي لم يكُنْ في هذه الدَّارِ مِثْلُها). ((نظم الدرر)) (22/27). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 191). وممَّن قال بنَحْوِ هذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ زَيدٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/366)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/440). وهذا القَولُ بناءً على أنَّ

إرَمَ مدينةٌ. قال ابنُ جُزَي: (مَن قال: إِرَمُ: قَبيلةٌ، قال: العِمادُ أعمِدَةُ بُنيانِهم، أو أعمِدةُ بُيوتِهم مِنَ الشَّعَرِ؛ لأنَّهم كانوا أهلَ عَمودٍ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ: ذلك كنايةٌ عن طُولِ أبدانِهم. ومَن قال: إِرَمُ: مَدينةٌ، فالعِمادُ الحِجارةُ الَّتي بُنِيَت بها، وقيل: القُصورُ والأبراجُ). ((تفسير ابن جزي)) (2/479). ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/478)، ((تفسير الرازي)) (31/153).

وقال الرَّسْعَنيُّ: (إنْ قُلْنا: إنَّ إرَمَ تَسميةٌ لعادٍ باسمِ جَدِّهم... وأنَّه عَطْفُ بيانٍ، كان قَولُه: ذَاتِ الْعِمَادِ وَصْفًا لهم بالطُّولِ المُفرِطِ...، وإنْ قُلْنا: إنَّ إرَمَ اسْمُ بَلْدَتِهم -وهو قَولُ كَثيرٍ مِنَ المفَسِّرينَ- كان قَولُه: ذَاتِ الْعِمَادِ صِفةً لبَلْدَتِهم، على معنى: ذاتِ الأساطينِ، أو ذاتِ البناءِ الرَّفيعِ، وقد اختلَفوا فيها؛ فقال سَعيدُ بنُ المسَيِّبِ وعِكْرِمةُ وغَيرُهما: هي دِمَشْقُ. وقال محمَّدُ بنُ كَعبٍ: الإسكَنْدريَّةُ. وقيل: هي المدينةُ الَّتي بناها شَدَّادُ بنُ عادٍ). ((تفسير الرسعني)) (8/611). قال ابنُ كثيرٍ: (ومَن زعم أنَّ المرادَ بقَولِه: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ مدينةٌ إمَّا دِمَشْقُ...، أو إسكَنْدريَّة... أو غيرُهما، ففيه نظَرٌ؛ فإنَّه كيف يلتَئِمُ الكلامُ على هذا: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ إن جعل ذلك بدلًا أو عَطْفَ بيانٍ؟! فإنَّه لا يتَّسِقُ الكلامُ حينَئذٍ. ثمَّ المرادُ إنَّما هو الإخبارُ عن إهلاكِ القَبيلةِ المُسَمَّاةِ بعادٍ، وما أحَلَّ اللهُ بهم مِن بأسِه الَّذي لا يُرَدُّ، لا أنَّ المرادَ الإخبارُ عن مدينةٍ أو إقليمٍ!). ((تفسير ابن كثير)) (8/395).

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8).

أي: الَّتي لم يُخلَقْ ما يُماثِلُها في سائِرِ البُلدانِ .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/367)، ((تفسير القرطبي)) (20/46)، ((تفسير ابن كثير)) (8/395)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/27)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/319)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 191). قال الماوَرْديُّ: (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ فيه وجهانِ: أحَدُهما: لم يُخلَقْ مِثلُ مَدينتِهم ذاتِ العِمادِ في البِلادِ...

الثَّاني: لم يُخلَقْ مِثلُ قَومِ عادٍ في البلادِ؛ لطُولِهم وشِدَّتِهم). ((تفسير الماوردي)) (6/268). قال ابنُ كثيرٍ: (وقَولُه: الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ أعاد ابنُ زَيدٍ الضَّميرَ على العِمادِ؛ لارتفاعِها، وقال: بَنَوا عُمُدًا بالأحقافِ لم يُخلَقْ مِثْلُها في البِلادِ). ((تفسير ابن كثير)) (8/395). ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/367، 368).

واختار ابنُ جُزَي أنَّها صِفةٌ للمدينةِ، قال: (وهذا أظهَرُ؛ لِقَولِه: فِي الْبِلَادِ، ولأنَّها كانت أحسَنَ مَدائِنِ الدُّنيا). ((تفسير ابن جزي)) (2/479).

وممَّن ذهب إلى الوَجْهِ الثَّاني -أي: أنَّ الضَّميرَ في قَولِه: مِثْلُهَا يعودُ إلى القبيلةِ-: ابنُ جَريرٍ، والقُرطبيُّ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/367)، ((تفسير القرطبي)) (20/46)، ((تفسير ابن كثير)) (8/395)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/319). وممَّن قال بنَحوِ هذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: قَتادةُ، والحسَنُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/367)، ((تفسير الماوردي)) (6/268). قال القُرطبيُّ: (الضَّميرُ في مِثْلُهَا يرجِعُ إلى القبيلةِ... وعليه الأكثَرُ). ((تفسير القرطبي)) (20/46). قال ابنُ كثيرٍ: (أمَّا قتادةُ وابنُ جَريرٍ فأعادا الضَّميرَ على القَبيلةِ، أي: لم يُخلَقْ مِثلُ تلك القبيلةِ في البلادِ، يعني: في زَمانِهم، وهذا القَولُ هو الصَّوابُ. وقَولُ ابنِ زَيدٍ ومَن ذَهَب مَذْهَبَه ضَعيفٌ؛ لأنَّه لو كان أراد ذلك

لَقال: الَّتي لم يُعمَلْ مِثْلُها في البلادِ، وإنَّما قال: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ). ((تفسير ابن كثير)) (8/395).

وممَّن ذهب إلى كِلا الوجهَينِ: البِقاعيُّ، فقال: (مِثْلُهَا يصِحُّ أن يعودَ الضَّميرُ على «عادٍ» باعتبارِ القبيلةِ، وعلى «إرَمَ» باعتبارِ البَلدةِ، وأوضَحَ هذا بقَولِه مُعَمِّمًا للأرضِ كُلِّها: فِي الْبِلَادِ أي: في بِنائِها ومَرافِقِها وثِمارِها، وتَقسيمِ مِياهِها وأنهارِها، وطِيبِ أرْضِها وحُسْنِ أطيارِها، وما اجتَمَع بها ممَّا يفوتُ الحَصرَ ويُعجِزُ القُوَى؛ ولا مِثْلُ أهلِها الَّذين بَنَوها؛ في قُوَّةِ أبدانِهم، وعَظيمِ شأنِهم، وغَيرِ ذلك مِن أُمورِهم). ((نظم الدرر)) (22/27، 28).

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9).

<u>مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها</u>:

لَمَّا بدَأَ بأولئك -لأنَّ أمْرَهم كان أعجَبَ، وقِصَّتَهم أنزَهُ وأغرَبُ-، ثَنَّى بأقرَبِ الأُمَمِ إليهم زمانًا، وأشبَهِهم بهم شأنًا، فقال :

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9).

أي: ألَمْ تَرَ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن قَبيلةِ ثَمودَ الَّذين شَقُّوا الجِبالَ في وادِيهم، وصَنَعوا فيها بُيوتًا ؟

كما قال تعالى: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [الأعراف: 74] .

وقال سُبحانَه: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ [الشعراء: 149] .

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10).

<u>مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:</u>

لَمَّا ذَكَر القَبيلتَينِ مِنَ العرَبِ، ذكَرَ بَعضَ مَن جاوَرَهم مِن طُغاةِ العَجَمِ؛ لِما في قِصَّتِهم مِن العُتُوِّ والجَبَروتِ، مع ما حَوَتْه مِن الغرائِبِ وخوارِقِ العَجائِبِ؛ فقال :

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10).

أي: ألم تَرَ -يا محمَّدُ- كيف انتَقَم اللهُ كذلك مِن فِرعَونَ صاحِبِ الأوتادِ ؟ كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ [ص: 12].

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/370-373)، ((تفسير ابن كثير)) (8/397)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/321)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 194).

قيل: المرادُ بالأوتادِ: الجنودُ. وممَّن ذهب إليه: النسفيُّ، والخازن، والسعدي، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/639)، ((تفسير الخازن)) (4/425)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 194). ويُنظر أيضًا: ((تفسير الماوردي)) (6/ 269). ومِمَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/371)، ((تفسير الثعلبي)) (10/197). قال الخازِنُ: (سُمِّيَ بذلك؛ لكَثرةِ جُنودِه، وكَثرةِ مَضارِبِهم وخِيامِهم الَّتي كانوا يَضرِبونَها إذا نَزَلوا). ((تفسير الخازن)) (4/425).

وقيل: الأوتادُ هي الأهراماتُ المعروفةُ في مِصرَ. وممَّن ذهب إلى هذا القول: المراغي، وابن عاشور، والشعراوي، وعطية سالم. يُنظر: ((تفسير المراغي)) (30/144)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/321)، ((تفسير الشعراوي)) (7/4328)، ((تتمة أضواء البيان)) لعطية سالم (8/525).

وقيل: المرادُ: الأوتادُ المعروفةُ سواءٌ مِن خَشَبٍ أو حديدٍ. وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جرير. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/373). وممَّن قال في الجُملةِ بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: مجاهِدٌ، وقَتادةُ، وأبو رافِعٍ، وسَعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والحَسَنُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/371)، ((تفسير الثعلبي)) (10/197)، ((تفسير الماوردي)) (6/269). قال ابنُ جرير: (أَولى هذه الأقوالِ عندي بالصَّوابِ قَولُ مَن قال: عُنِيَ بذلك: الأوتادُ الَّتي تُوتَدُ مِن خَشَبٍ كانت أو حديدٍ؛ لأنَّ ذلك هو المعروفُ مِن معاني الأوتادِ، ووُصِفَ بذلك؛ لأنَّه إمَّا أن يكونَ كان يُعَذِّبُ النَّاسَ بها، كما قال أبو رافعٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وإمَّا أن يكونَ كان يُلعَبُ له بها [كما قال قَتادةُ]). ((تفسير ابن جرير)) (24/373). وقال البِقاعي: (ذِي الْأَوْتَادِ أي: الَّذي ثبَّتَ مُلْكَه تَثبيتَ مَن يَظُنُّ أنَّه لا يَزولُ بالعساكِرِ والجنودِ وغَيرِهم مِن كُلِّ ما يَظُنُّ أنَّه يَشُدُّ أمْرَه؛ مِنَ الجنَّاتِ والعُيونِ والزُّروعِ والمقاماتِ الكريمةِ؛ فصارت له اليَدُ المبسوطةُ في المُلْكِ). ((نظم الدرر)) (22/30).

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11).

أي: هؤلاء الَّذين سَلَف ذِكْرُهم -عادٌ وثَمودُ وفِرعونُ- قد تجاوَزوا حَدَّهم في الظُّلمِ والطُّغيانِ .

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12).

أي: فأكثَروا في البِلادِ العمَلَ بالكُفْرِ والعِصيانِ، والظُّلمِ والعُدْوانِ .

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان ذلك مُوجِبًا للعَذابِ؛ سَبَّبَ عنه قَولَه تعالى :

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13).

أي: فأنزَلَ رَبُّك عليهم -يا محمَّدُ- عَذابَه الشَّديدَ؛ فهَلَكوا جَميعًا .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/373)، ((تفسير القرطبي)) (20/49)، ((تفسير ابن كثير)) (8/397)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/31)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/322). وقال ابنُ عثيمين: (الخِطابُ هنا للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم، أو لكُلِّ مَن يتوجَّهُ إليه الخِطابُ). ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 195).

كما قال تعالى: فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت: 40] .

وقال سُبحانَه: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا [محمد: 10] .

وقال عزَّ وجَلَّ: فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ

فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً [الحاقة: 5 -10] .

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14).

أي: إنَّ رَبَّك -يا محمَّدُ- مُراقِبٌ لأعمالِ الطَّاغينَ المُفسِدينَ في الدُّنيا، ومُطَّلِعٌ على أفعالِهم، وسامِعٌ لأقوالِهم؛ حتَّى يأخُذَهم ويُهلِكَهم .

كما قال تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ [الحج: 48] .

<u>الفوائد التربوية:</u>

1- قَولُه تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَهِمَ منه بعضُ أهلِ العلمِ التَّحذيرَ مِنَ التَّطاوُلِ في البُنيانِ، والتَّفاخُرِ والتَّعاظُمِ بتَشييدِ الحِجارةِ .

2- في قَولِه تعالى: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ تنبيهٌ وتقريعٌ لِمَن بعدَهم ألَّا يَعْمَلوا بمِثْلِ عَمَلِهم، فيَنزِلَ بهم ما أُنزِلَ بأولئك مع بأسِهم وشِدَّتِهم وعَدَدِهم، وأموالِهم الَّتي أنفَقوها في ذاتِ العِمَادِ -على قولٍ-، وما فعلَتْه ثمودُ بجَوبِ الصَّخرِ بالوادِ، وفِرعَونُ ذو الأوتادِ؛ فاعِلُ أفاعيلِه الهائلةِ المنكَرةِ: كيف أفناهم وأبادَهم، ومحا آثارَهم، وجعلَهم عِبرةً للمُعتَبِرينَ، وعِظَةً للمُتَّعِظينَ ؟!

3- في قَولِه تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ أنَّه لا مَلجَأَ ولا مَهرَبَ مِنَ اللهِ إلَّا إليه .

الفوائد العلمية واللطائف:

1- تضَمَّنتْ هذه السُّورةُ ذَمَّ مَنِ اغتَرَّ بقُوَّتِه وسُلطانِه ومالِه، وهم هؤلاء الأُمَمُ الثَّلاثةُ: قَومُ عادٍ اغتَرُّوا بقوَّتِهم، وثمودُ اغتَرُّوا بجنَّاتِهم وعُيونِهم وزُروعِهم وبَساتينِهم، وقومُ فِرعونَ اغتَرُّوا بالمالِ والرِّياسةِ؛ فصارتْ عاقِبتُهم إلى ما قَصَّ اللهُ علينا، وهذا شأنُه دائمًا مع كلِّ مَنِ اغتَرَّ بشَيءٍ مِن ذلك؛ لا بُدَّ أنْ يُفسِدَه عليه، ويَسلُبَه إيَّاه .

2- في قَولِه تعالى: وَلَيَالٍ عَشْرٍ استُدِلَّ به على أنَّ اللَّياليَ سابِقةُ الأيَّامَ .

3- قَولُه تعالى: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ هذا الوَصفُ البَليغُ صريحٌ بألفاظِه ومعانيه في أنَّه وَصفٌ لحَضارةٍ عُمرانيَّةٍ لا نظيرَ لها؛ فالعِمادُ لا تكونُ إلَّا في القُصورِ والأبنيةِ الباذِخةِ، والمدُنِ المخَطَّطةِ على نظامٍ مُحكَمٍ . وذلك على قول في تفسيرِ ذَاتِ الْعِمَادِ.

يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: 396).

4- في قَولِه تعالى: الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ -مع أنَّ الَّذي صَنَعَها الآدَميُّ- دليلٌ على أنَّ الآدَميَّ قد يُوصَفُ بالخَلْقِ، فيقالُ: خَلَقَ كذا، ومنه قولُ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في المصَوِّرينَ: ((يُقالُ لهم: أحْيُوا ما خَلَقْتُم)) ، لكِنَّ الخَلْقَ الَّذي يُنسَبُ للمَخلوقِ ليس هو الخَلْقَ المنسوبَ إلى اللهِ تعالى؛ الخَلقُ المنسوبُ إلى اللهِ إيجادٌ بَعْدَ عَدَمٍ، وتحويلٌ وتغييرٌ، أمَّا الخَلقُ المنسوبُ لغَيرِ اللهِ فهو مجرَّدُ تحويلٍ وتغييرٍ. وذلك على قولٍ في تفسيرِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.

5- قولُه: الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ الطُّغيانُ: شِدَّةُ العِصيانِ والظُّلمِ، ومعْنى طُغيانِهم في البِلادِ أنَّ كلَّ أُمَّةٍ مِن هؤلاء طَغَوا في بَلَدِهم.

وقال ابن جرير: (وقولُه: فِي الْبِلَادِ الَّتِي كانوا فيها). ((تفسير ابن جرير)) (24/373)

ولَمَّا كان بَلَدُهم مِن جُملةِ البلادِ -أي: أراضي الأقوامِ- كان طُغيانُهم في بَلَدِهم قد أوقَعَ الطُّغيانَ في البلادِ؛ لأنَّ فَسادَ البعضِ آيلٌ إلى فَسادِ الجَميعِ بسَنِّ سَنَنِ السُّوءِ، ولذلك تَسبَّبَ عليه مِن قولِه: الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ قولُه: فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ؛ لأنَّ الطُّغيانَ يُجرِّئُ صاحبَه على دَحْضِ حُقوقِ النَّاسِ، فهو مِن جِهةٍ يكونُ قُدوةَ سُوءٍ لأمثالِه ومَلَئِه، فكلُّ واحدٍ منهم يَطْغى على مَن هو دونَه، وذلك فَسادٌ عَظيمٌ؛ لأنَّ به اختلالَ الشَّرائعِ الإلهيَّةِ والقَوانينِ الوَضعيَّةِ الصَّالحةِ، وهو مِن جِهةٍ أُخرى يُثيرُ الحَفائظَ والضَّغائنَ في المَطغيِّ عليه مِن الرَّعيَّةِ، فيُضمِرون السُّوءَ للطَّاغينَ، وتَنْطوي نُفوسُهم على كَراهيةِ وُلاةِ الأُمورِ وتَربُّصِ الدَّوائرِ بهم، فيَكونون لهم أعداءً غيرَ مُخلِصي الضَّمائرِ، ويكونُ رِجالُ الدَّولةِ مُتوجِّسينَ منهم خِيفةً، فيَظنُّون بهم السُّوءَ في كلِّ حالٍ ويَحذَرونهم، فتَتوزَّعُ قُوَّةُ الأُمَّةِ على أفرادِها عِوَضَ أنْ تتَّحِدَ على أعدائِها، فتُصبِحُ للأُمَّةِ أعداءٌ في الخارجٌ وأعداءٌ في الدَّاخلِ، وذلك يُفْضي إلى فَسادٍ عَظيمٍ؛ فلا جَرَمَ كان الطُّغيانُ سَببًا لكَثرةِ الفسادِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (30/321).

6- قال تعالى: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ وذِكرُ السَّوطِ إشارةٌ إلى أنَّ ما أحلَّه بهم في الدُّنيا مِن العَذابِ العظيمِ بالقِياسِ إلى ما أعَدَّ لهم في الآخرةِ

كالسَّوطِ إذا قِيسَ إلى سائرِ ما يُعذَّبُ به؛ لأنَّه يَقْتضي مِن التَّكرارِ والتَّردادِ ما لا يَقْتضيهِ السَّيفُ ولا غيرُه.

بلاغة الآيات :

1- قولُه تعالَى: وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ

- القَسَمُ بهذهِ الأزمانِ مِن حيثُ إنَّ بَعضَها دَلائلُ بَديعِ صُنْعِ اللهِ وسَعةِ قُدرتِه فيما أوجَدَ مِن نِظامٍ يُظاهِرُ بَعضُه بَعضًا؛ مِن ذلك وقْتُ الفجرِ الجامعِ بيْن انتهاءِ ظُلمةِ اللَّيلِ وابتداءِ نُورِ النَّهارِ، ووَقتُ اللَّيلِ الَّذي تَمحَّضَت فيه الظُّلمةُ، وهي مع ذلك أوقاتٌ لأفعالٍ مِن البرِّ وعِبادةِ اللهِ وحْدَه، مِثل اللَّيالي العَشْرِ، واللَّيالي الشَّفعِ، واللَّيالي الوتْرِ، والمَقصودُ مِن هذا القسَمِ تَحقيقُ المُقسَمِ عليه؛ لأنَّ القسَمَ في الكلامِ مِن طُرقِ تَأكيدِ الخبَرِ؛ إذِ القسَمُ إشهادُ المُقسِمِ ربَّه على ما تَضمَّنه كَلامُه، وقسَمُ اللهِ تعالَى مُتمحِّضٌ لقصْدِ التَّأكيدِ، والكلامُ مُوَجَّهٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كما دلَّ عليه قولُه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [الفجر: 6] ، وقولُه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر: 14] ؛ ولذلك فالقَسَمُ تَعريضٌ بتَحقيقِ حُصولِ المُقسَمِ عليه بالنِّسبةِ للمُنكِرين. وأيضًا المَقصدُ مِن تَطويلِ القسَمِ بأشْياءَ: التَّشويقُ إلى المُقسَمِ عليه .

- والتَّعريفُ في (الْفَجْرِ) تَعريفُ الجِنسِ، وهو الأظهرُ؛ لمُناسَبةِ عطْفِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. ويَجوزُ أنْ يُرادَ فجْرٌ مُعيَّنٌ؛ فقِيل: أُريدَ وقْتُ صَلاةِ الصُّبحِ مِن كلِّ يومٍ، وقيل: فجْرُ يومِ النَّحرِ، وهو الفجرُ الَّذي يكونُ فيه الحَجيجُ بالمُزدلفةِ، فيَكونُ تَعريفُ (الْفَجْرِ) تَعريفَ العهْدِ .

- قولُه: وَلَيَالٍ عَشْرٍ جاءتْ (ليالٍ) مُنكَّرةً مِن بيْن ما أُقسِمَ به؛ لأنَّها لَيالٍ مَخصوصةٌ مِن بيْن جِنسِ اللَّيالي، العَشرُ بَعضٌ منها، فالتَّنكيرُ للتَّقليلِ. أو مَخصوصةٌ بفَضيلةٍ ليست لغَيرِها، فالتَّنكيرُ للتَّفخيمِ والتَّهويلِ. ولم تُعرَّفْ بلامِ العهْدِ، مع أنَّها ليالٍ مَعلومةٌ مَعهودةٌ؛ لأنَّ اللَّياليَ لو عُرِّفَت احتاجَتْ -لِما يُرادُ مِن اختصاصِها بالفضيلةِ- إلى مَزيدِ انضمامِ قَرينةٍ خارجيَّةٍ، بخِلافِ التَّنكيرِ؛ فإنَّ دَلالتَه على الفَضيلةِ بنفْسِه؛ لأنَّه مَوضوعٌ له مُستقِلٌّ به، ولأنَّها لو عُرِّفَت لم تَتميَّزْ عن المَذكوراتِ فيما قُصِدَ منها، وانخَرَطَت في سِلْكِها، ولو خُصِّصت منها بشَيءٍ مِن غيرِ تَغييرٍ لدَخَلَ في حدِّ اللُّغزِ .

- وقيل: عرَّف الفَجرَ باللَّامِ؛ إذْ كلُّ أحدٍ يَعرِفُه، ونكَّر اللَّياليَ العَشرَ؛ لأنَّها إنَّما تُعرَفُ بالعِلمِ، وفي تَعريفِ الفَجرِ ما يدُلُّ على شُهرتِه، وأنَّه الفَجرُ الَّذي يَعرِفُه كلُّ أحدٍ ولا يَجهَلُه .

- قولُه: وَلَيَالٍ عَشْرٍ هي لَيالٍ مَعلومةٌ للسَّامعينَ، مَوصوفةٌ بأنَّها عَشْرٌ، واستُغنِيَ عن تَعريفِها بتَوصيفِها بعشْرٍ، وإذ قد وُصِفَت بهذا العدَدِ تعيَّن أنَّها عشْرٌ مُتتابِعةٌ .

- ومُناسَبةُ عطْفِ (لَيَالٍ عَشْرٍ) على (الْفَجْرِ): أنَّ الفجْرَ وقْتُ انتهاءِ اللَّيلِ، فبيْنَه وبيْنَ اللَّيلِ جامعُ المُضادَّةِ، واللَّيلُ مَظهَرٌ مِن مَظاهرِ القُدرةِ الإلهيَّةِ، فلمَّا أُرِيدَ عطْفُه على الفجْرِ بقولِه: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، خُصَّت قبْلَ ذِكرِه بالذِّكرِ ليالٍ مُبارَكةٌ؛ إذ هي مِن أفرادِ اللَّيلِ .

- قولُه: وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ الشَّفعُ: ما يكونُ ثانيًا لغَيرِه، والوتْرُ: الشَّيءُ المُفرَدُ، قيل: الوِترُ يومُ عَرَفةَ والشَّفعُ يومُ النَّحرِ، وهما صِفتانِ لمَحذوفٍ -أي: اليومِ؛ ذلك لأنَّ يومَ النَّحرِ عاشِرُ ذي الحَجَّةِ. ومُناسَبةُ الابتداءِ بالشَّفعِ أنَّه اليومُ العاشِرُ، فناسَبَ قولَه: وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وعلى هذا التَّفسيرِ فذِكرُ الشَّفعِ

والوتْرِ تَخصيصٌ لهذينِ اليومَينِ بالذِّكرِ للاهتِمامِ، بعْدَ شُمولِ اللَّيالي العشْرِ لهما .

- قولُه: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ عطْفٌ على وَلَيَالٍ عَشْرٍ عطْفَ الأعمِّ على الأخصِّ، أو عطْفٌ على (الفَجْرِ) بجامِعِ التَّضادِّ. وأُقسِمَ به؛ لِما أنَّه مَظهَرٌ مِن مَظاهرِ قُدرةِ اللهِ وبَديعِ حِكمتِه .

- قولُه: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، أي: إذا يَمْضي، كقولِه: وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ [المدثر: 33] ، والتَّقييدُ بذلك؛ لِما في التَّعاقُبِ مِن وُضوحِ الدَّلالةِ وقوَّتِها على كَمالِ القُدرةِ ووُفورِ النِّعمةِ؛ فالتَّقييدُ تَتميمٌ لمَعنى القُدرةِ أو النِّعمةِ ؛ فمعْنى (يَسْري): يَمْضي سائرًا في الظَّلامِ، أي: إذا انْقَضى منه جُزءٌ كَثيرٌ، شُبِّهَ تقَضِّي اللَّيلِ في ظَلامِه بسَيرِ السَّائرِ في الظَّلامِ، وهو السُّرَى، كما شُبِّهَ في قولِه: إِذْ أَدْبَرَ [المدثر: 33] ، وقال: وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [الضحى: 2] ، أي: تَمكَّنَ ظَلامُه واشتَدَّ. وتَقييدُ اللَّيلِ بظَرْفِ إِذَا يَسْرِ؛ لأنَّه وقْتُ تَمكُّنِ ظُلمةِ اللَّيلِ، فحِينَئذٍ يكونُ النَّاسُ أخَذوا حَظَّهم مِن النَّومِ فاسْتَطاعوا التَّهجُّدَ .

2- قولُه تعالَى: هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ جُملةٌ مُعترِضةٌ بيْن القسَمِ وما بعْدَه مِن جَوابِه، أو دَليلُ جَوابِه .

- والاستِفهامُ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ تَحقيقٌ وتَقريرٌ لفَخامةِ شَأنِ المُقسَمِ بها، وكَونِها أُمورًا جَليلةً حَقيقةً بالإعظامِ والإجلالِ عندَ أربابِ العُقولِ، وتَنبيهٌ على أنَّ الإقسامَ بها أمْرٌ مُعتَدٌّ به، خَليقٌ بأنْ يؤَكَّدَ بهِ الإخبارُ .

- وتَنكيرُ قَسَمٌ للتَّعظيمِ، أي: قسَمٌ كافٍ ومُقنِعٌ للمُقسَمِ له إذا كان عاقلًا أنْ يَتدبَّرَ بعَقْلِه؛ فالمعْنى: هلْ في ذلك تَحقيقٌ لِما أُقسِمَ عليه للسَّامعِ المَوصوفِ بأنَّه صاحبُ حِجرٍ ؟

- واللَّامُ في قولِه: لِذِي حِجْرٍ لامُ التَّعليلِ، أي: قسَمٌ لأجْلِ ذي عقْلٍ يَمنَعُه مِن المُكابَرةِ، فيَعلَم أنَّ المقسِمَ بهذا القسَمِ صادقٌ فيما أقسَمَ عليه .

- وما في اسْمِ الإشارةِ (ذلكَ) مِن معْنى البُعدِ؛ للإيذانِ بعُلوِّ رُتبةِ المُشارِ إليهِ، وبُعْدِ مَنزلتِه في الشَّرفِ والفضْلِ، أيْ: هلْ فيما ذُكِرَ مِن الأشياءِ قسَمٌ -أيْ: مُقسَمٌ بهِ- لِذِي حِجرٍ يَراهُ حقيقًا بأنْ يُقسَمَ بهِ إجلالًا وتَعظيمًا؟ والمرادُ تحقيقُ أنَّ الكلَّ كذلكَ، وإنَّما أُوثِرتْ هذه الطَّريقةُ هَضْمًا للخلْقِ، وإيذانًا بظُهورِ الأمرِ .

3- قولُه تعالَى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وقَفَ المُخاطَبَ على مَصارعِ الأُمَمِ الكافرةِ الماضيةِ مَقصودًا بذلك تَوعُّدُ قُريشٍ، ونصْبُ المَثَلِ لها .

- قولُه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إمَّا دَليلُ الجَوابِ؛ إذ يدُلُّ على أنَّ المقسَمَ عليه مِن جِنسِ ما فُعِلَ بهذه الأُمَمِ الثَّلاثِ، وهو الاستئصالُ الدَّالُّ عليه قولُه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، فتَقديرُ الجَوابِ: لَيَصُبَّنَّ ربُّك على مُكذِّبيك سَوطَ عَذابٍ كما صبَّ على عادٍ وثَمودَ وفِرعونَ. وإمَّا تَمهيدٌ للجوابِ ومُقدِّمةٌ له، إنْ جُعِلَ الجوابُ قولَه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ. وما بيْنه وبيْن الآياتِ السَّابقةِ اعتراضٌ جُعِلَ كمُقدِّمةٍ لجَوابِ القسَمِ، والمعْنى: إنَّ ربَّك لَبالمِرصادِ للمُكذِّبين، لا يَخْفى عليه أمْرُهم، فيَكون تَثبيتًا للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فالاستِفهامُ أَلَمْ تَرَ ... تَقريريٌّ، والمُخاطَبُ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تَثبيتًا له، ووَعْدًا بالنَّصرِ، وتَعريضًا للمُعانِدين بالإنذارِ بمِثلِه؛ فإنَّ ما فُعِلَ بهذه الأُمَمِ الثَّلاثِ مَوعظةٌ وإنذارٌ للقَومِ الذين فَعَلوا مِثلَ فِعلِهم مِن تَكذيبِ رُسلِ اللهِ، قُصِدَ منه تَقريبُ وُقوعِ ذلك وتَوقُّعِ حُلولِه؛ لأنَّ التَّذكيرَ بالنَّظائرِ واستحضارَ الأمثالِ يُقرِّبُ إلى الأذهانِ الأمرَ الغريبَ

الوُقوعِ، فهذه العِبَرُ جُزئيَّاتٌ مِن مَضمونِ جَوابِ القسَمِ، فإنْ كان مَحذوفًا فذِكرُها دَليلُه، وإنْ كان الجوابُ قولَه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ كان تَقديمُها على الجوابِ زِيادةً في التَّشويقِ إلى تَلَقِّيه، وإيذانًا بجِنسِ الجوابِ مِن قَبْلِ ذِكرِه؛ ليَحصُلَ بعْدَ ذِكرِه مَزيدُ تَقرُّرِه في الأذهانِ .

- والرُّؤيةُ في أَلَمْ تَرَ يَجوزُ أنْ تكونَ رُؤيةً عِلْميَّةً تَشبيهًا للعِلمِ اليَقينيِّ بالرُّؤيةِ في الوُضوحِ والانكشافِ؛ لأنَّ أخبارَ هذه الأُمَمِ شائعةٌ مَضروبةٌ بها المَثَلُ، فكأنَّها مُشاهَدةٌ، فتَكونَ (كيف) استِفهامًا مُعلِّقًا فِعلَ الرُّؤيةِ عن العمَلِ في مَفعولَينِ. ويَجوزُ أنْ تكونَ الرُّؤيةُ بَصَريَّةً، والمعْنى: ألمْ تَرَ آثارَ ما فَعَلَ ربُّك بعادٍ؟ وتكونَ (كيف) اسمًا مُجرَّدًا عن الاستفهامِ في مَحلِّ نصْبٍ على المَفعوليَّةِ لفِعلِ الرُّؤيةِ البَصَريَّةِ .

- وعُدِلَ عن اسمِ الجَلالةِ إلى التَّعريفِ بإضافةِ (ربّ) إلى ضَميرِ المخاطَبِ في قولِه: فَعَلَ رَبُّكَ؛ لِما في وصْفِ (ربّ) مِن الإشعارِ بالوِلايةِ والتَّأييدِ، ولِما تُؤذِنُ به إضافتُه إلى ضَميرِ المُخاطَبِ مِن إعزازِه وتَشريفِه .

- وقد ابتُدِئَت المَوعظةُ بذِكرِ عادٍ وثَمودَ؛ لشُهرتِهما بيْن المُخاطَبينَ، وذُكِرَ بعْدَهما قَومُ فِرعونَ؛ لشُهرةِ رِسالةِ مُوسى عليه السَّلامُ إلى فِرعونَ بيْن أهلِ الكتابِ ببِلادِ العرَبِ وهم يُحدِّثون العرَبَ عنها .

- وقولُه: إِرَمَ عطْفُ بيانٍ لـ (عَادٍ) على تَقديرِ مُضافٍ، أي: سِبْطِ إِرَمَ، أو أهْلِ إِرَمَ؛ للإشارةِ إلى أنَّ المُرادَ بـ (عادٍ) القَبيلةُ الَّتي جَدُّها الأدْنى هو عادُ ابنُ عَوصِ بنِ إِرَمَ -وذلك على قولٍ-، وهم عادٌ الموصوفةُ بالأُولى في قولِه تعالَى: وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى [النجم: 50] ؛ لئلَّا يُتوهَّمَ أنَّ المُتحدَّثَ عنهم قَبيلةٌ أُخرى تُسمَّى عادًا أيضًا، كانت تَنزِلُ مكَّةَ مع العَماليقِ، يُقال: إنَّهم بَقيَّةٌ مِن عادٍ الأُولى، فعادٌ وإِرَمُ اسمانِ لقَبيلةِ عادٍ الأُولى .

- والعِمادُ: عُودٌ غَليظٌ طَويلٌ يُقامُ عليه البيتُ يُركَزُ في الأرضِ تُقامُ عليه أثوابُ الخَيمةِ أو القُبَّةِ، ويُسمَّى دِعامةً، وهو هنا مُعبَّرٌ به عن القوَّةِ؛ تَشبيهًا للقَبيلةِ القوِّيةِ بالبيتِ ذي العِمادِ، فوُصِفَت عادٌ بـ ذَاتِ الْعِمَادِ؛ لقُوَّتِها وشِدَّتِها، أي: قدْ أهلَكَ اللهُ قومًا هم أشدُّ مِن القومِ الَّذين كذَّبوك . وذلك على قولٍ في التَّفسيرِ.

- ولامُ التَّعريفِ في الْبِلَادِ قيل: إنَّها للاستغراقِ العُرفيِّ، أي: في بلدانِ العرَبِ وقَبائلِهم .

4- قولُه تعالَى: وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

- مُنِعَ (ثَمود) مِن الصَّرفِ؛ لأنَّ المُرادَ به الأُمَّةُ المَعروفةُ، ووُصِفَ باسمِ الموصولِ لجمْعِ المذكَّرِ في قولِه: الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ دونَ أنْ يقولَ: الَّتي جابَتِ الصَّخرَ، بتَأويلِ القومِ، فلمَّا وَصَفَ عَدَلَ عن تَأنيثِه؛ تَفنُّنًا في الأسلوبِ .

5- قولُه تعالَى: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

- قولُه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ التَّعبيرُ عن إنزالِ العَذابِ بالصَّبِّ؛ للإيذانِ بكَثرتِه واستِمرارِه وتَتابُعِه؛ فإنَّه عبارةٌ عن إراقةِ شَيءٍ مائعٍ أو جارٍ مَجراهُ في السَّيلانِ، كالرَّملِ والحُبوبِ، وإفراغِه بشِدَّةٍ وكَثرةٍ واستمرارٍ .

- وإضافةُ سَوْطَ إلى عَذَابٍ قيل: هي مِن إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ، أي: صَبَّ عليهم عَذابًا سَوطًا، أي: كالسَّوطِ في سُرعةِ الإصابةِ، فهو تَشبيهٌ بَليغٌ .

- وقدْ ذَكَرَ تعالى -هاهنا- قِصَّةَ ثلاثِ فِرَقٍ مِن الكُفَّارِ المتقدِّمين -وهي: عادٌ، وثمودُ، وقومُ فِرعونَ- على سَبيلِ الإجمالِ، حيثُ قال: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ولم يُبيِّنْ كَيفيَّةَ ذلك العذابِ، وذَكَرَ في سُورةِ (الحاقَّةِ) بَيانَ ما أُبهِمَ في هذه السُّورةِ، فقال: فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ إلى قولِه: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ [الحاقة: 1 - 9] الآيةَ . وكلٌّ مُناسِبٌ في مَوضعِه.

- قولُه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ تَذييلٌ وتَعليلٌ لإصابتِهم بسَوطِ عَذابٍ إذا قُدِّرَ جَوابُ القسَمِ مَحذوفًا، ويجوزُ أنْ تكونَ جَوابَ القسَمِ، فعلى كونِ الجُملةِ تَذييلًا تكونُ تَعليلًا لجُملةِ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ؛ تَثبيتًا للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنَّ اللهَ يَنصُرُ رُسلَه، وتَصريحًا للمُعاندينَ بما عرَّضَ لهم به مِن تَوقُّعِ مُعامَلتِه إيَّاهم بمِثلِ ما عامَلَ به المُكذِّبين الأوَّلينَ، كما يُنْبِئُ عنه التَّعرُّضُ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ مع الإضافةِ إلى ضَميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أي: إنَّ اللهَ بالمِرصادِ لكلِّ طاغٍ مُفسِدٍ، وعلى كَونِها جَوابَ القسَمِ تكونُ كِنايةً عن تَسليطِ العَذابِ على المشْرِكين؛ إذ لا يُرادُ مِن الرَّصدِ إلَّا دفْعُ المُعتدي مِن عدُوٍّ ونحْوِه، وهو المقسَمُ عليه، وما قبْلَه اعتراضًا تَفنُّنًا في نظْمِ الكلامِ؛ إذ قُدِّمَ على المقصودِ بالقسَمِ ما هو استدلالٌ عليه وتَنظيرٌ بما سبَقَ مِن عِقابِ أمثالِهم مِن الأُمَمِ مِن قَولِه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إلخ، وهو أُسلوبٌ مِن أساليبِ الخَطابةِ؛ إذ يُجعَلُ البَيانُ والتَّنظيرُ بمَنزلةِ المُقدِّمةِ، ويُجعَلُ الغرَضُ المَقصودُ بمَنزلةِ النَّتيجةِ والعِلَّةِ إذا كان الكلامُ صالحًا للاعتبارَينِ، مع قصْدِ الاهتمامِ بالمُقدَّمِ والمُبادَرةِ به .

- والعُدولُ عن ضَميرِ المُتكلِّمِ أو اسمِ الجَلالةِ إلى (ربك) في قولِه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، وقولِه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ: إيماءٌ إلى أنَّ فاعلَ ذلك ربُّه الَّذي شأْنُه أنْ يَنتصِرَ له؛ فهو مُؤمِّلٌ بأنْ يُعذِّبَ الَّذين كذَّبوه انتصارًا له انتصارَ المَولى لوَليِّه .

- وتَعريفُ (المِرْصاد) تَعريفُ الجِنسِ، وهو يُفيدُ عُمومَ المُتعلَّقِ، أي: بالمِرصادِ لكلِّ فاعلٍ .

- قولُه: إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ كِنايةٌ عن مُجازاةِ كلِّ عاملٍ بما عَمِلَه وما يَعمَلُه؛ إذ لا يُقصَدُ الرَّصْدُ إلَّا للجَزاءِ على العُدوانِ، وفيما يُفيدُه مِن التَّعليلِ إيماءٌ إلى أنَّ اللهَ لم يَظلِمْهم فيما أصابَهُم به .

ثم قال تعالى:

(فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠)

التفسير المأثور

(فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ (١٦) كَلَّاۖ ......

نزول الآية

٨٣٠٩٥- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (فَيَقُول رَبِّي أهانَنِ) نزلت في أُميّة بن خلف الجُمحي الكافر(١). (ز) تفسير البغوي ٨/٤٢١.

٨٣٠٩٦- قال مقاتل بن سليمان: (فَأَمّا الإنْسانُ إذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أكْرَمَنِ) نزلت الآية في أُميّة بن خلف الجُمحي، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويُذكّره ذلك، فقال له أُميّة بن خلف: ويحك، أليس الله يقول: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلى الَّذِينَ آمَنُوا وأَنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ) [محمد:١١]. قال عبد الله بن نفيل: نعم. قال: فما له أغناني وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله. قال أُميّة: بل أغناني الله لكرامتي عليه، وأفقرك لهوانك عليه. قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لَخليقٌ أن يكون الله فعل ذلك. فأنزل الله تعالى: (فَأَمّا الإنْسانُ إذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أكْرَمَنِ وأَمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ)(٢). (ز)

تفسير الآية

٨٣٠٩٧- عن مجاهد بن جبر، في الآية، قال: ظنَّ كرامةَ الله في كثرة المال، وهوانه في قِلّته، وكذب، إنما يُكرم بطاعته مَن أكرم، ويُهين بمعصيته مَن أهان(٣). (١٥/٤١٨)

٨٣٠٩٨- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (وأَمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ): ما أسرع كفر ابن آدم، يقول الله -جلّ ثناؤه-: كلا إنّي لا أُكرِم مَن أكرمتُ بكثرة الدنيا، ولا أُهين مَن أهنتُ بقِلّتها، ولكن إنما أُكرِم مَن أكرمتُ بطاعتي، وأُهين مَن أهنتُ بمعصيتي(٤). (ز)

٨٣٠٩٩- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (فَيَقُول رَبِّي أهانَنِ) نزلت في أُميّة بن خلف الجُمحي الكافر، فردَّ الله على مَن ظنّ أنّ سعة الرّزق إكرام، وأنّ

الفقر إهانة، فقال (كَلا) لم أبْتَلِه بالغنى لكرامته، ولم أبْتَلِه بالفقر لهوانه(٥). (ز)

تفسير البغوي ٨/٤٢١، وعقبه: فأخبر أنّ الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره، فيوسّع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يُكرم المرء بطاعته ويُهينه بمعصيته.

٨٣١٠٠- قال مقاتل بن سليمان: (فَأَمّا الإنْسانُ إذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أكْرَمَنِ وأَمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ)، قال: يقول: (كلا) ما أغنيتُ هذا الغني لكرامته، ولا أفقرتُ هذا الفقير لهوانه عليّ، ولكن كذلك أردتُ أنْ أُحسن إلى هذا الغني في الدنيا، وأهون على هذا الفقير حسابه يوم القيامة، ثم قال في سورة أخرى: (فَإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) [الشرح:٥-٦]. يقول: ليس من شدة إلا بعدها رخاء، ولا رخاء إلا بعده شدة(٦)٧١٦٤. (ز)

٧١٦٤ أفادت الآثار أنّ معنى: (كلا) في هذه الآية، أي: أنّ الله أنكر أن يكون سبب كرامته مَن أكرم كثرةَ ماله، وسبب إهانة مَن أهان قِلّةَ ماله. ونقل ابنُ جرير (٢٤/٣٧٨ بتصرف) عن آخرين: «أنّ الله -جلَّ ثناؤه- أنكر حَمْدَ الإنسان ربَّه على نِعَمِه دون فقره، وشكواه الفاقة، وقالوا: معنى الكلام: كلا، أي: لم يكن ينبغي أن يكون هكذا، ولكن كان ينبغي أن يحمَدَه على الأمرين جميعًا؛ على الغنى والفقر». ثم رجَّح (٢٤/٣٧٨) القول الأول مستندًا إلى السياق، وعلَّل ذلك بقوله: «لدلالة قوله: (بَلْ لا تُكْرِمُونَ

اليَتِيمَ) والآيات التي بعدها على أنّه إنّما أهان مَن أهان بأنه لا يُكرِم اليتيم، ولا يحضّ على طعام المسكين، وسائر المعاني التي عدّد، وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان مَن أهان الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم، وفي تَبْيينه ذلك عَقِيب قوله: (فَأَمّا الإنْسانُ إذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أكْرَمَن وأَمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنْ) بيانٌ واضحٌ عن أنّ الذي أنكر مِن قوله ما وصفنا».

٨٣١٠١- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)، قال: ضيّقه عليه(٧). (١٥/٤١٩).

*****

(كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ (١٨))

قراءات

٨٣١٠٢- عن عبد الرحمن بن عوف، أنّ النبي ﷺ قرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ * ولا يَحُضُّونَ› بالياء(١). (١٥/٤١٩)

أخرجه الحاكم ٢/٢٨٠ (٣٠٠٨). وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه. ولفظ الحاكم: أنّ النبي ﷺ كان يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ ولا يَحَآضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ ويَأْكُلُونَ ... ويُحِبُّونَ›، كلّها بالياء.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وذكر الدارقطني في العلل ٤/٢٧٥ (٥٥٩) الاختلاف في إسناده على وجهين، ثم قال: «وكلاهما غير محفوظ».

والياء في الأفعال الأربعة قراءة متواترة، قرأ بها أبو عمرو، ويعقوب، وقرأ بقية العشرة بتاء الخطاب فيها. انظر: النشر ٢/٤٠٠، والإتحاف ص٥٨٤.

٨٣١٠٣- عن أبي هريرة، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ * ولا يَحُضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ * ويَأْكُلُونَ التُّراثَ أكْلًا لَّمًّا * ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا› الأربعة بالياء(٢). (١٥/٤٢١)

٨٣١٠٤- عن ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ› إلى قوله: ‹ويُحِبُّونَ المالَ› بالياء كلها(٣). (١٥/٤٢٢)

٨٣١٠٥- عن حميد الأعرج، عن مجاهد أنه كان يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ * ولا يَحُضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ›(٤)٧١٦٥. (ز)

٧١٦٥ اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: (ولا تَحاضُّونَ) على أربع قراءات، ذكرها ابن جرير (٢٤/٣٧٨-٣٧٩): الأولى: (تَحاضُّونَ) بالتاء وفتحها وإثبات الألف، بمعنى: ولا يحضّ بعضكم بعضًا على طعام المسكين.

الثانية: ‹تَحُضُّونَ› بالتاء وفتحها وحذف الألف، بمعنى: ولا تأمرون بإطعام المسكين.

الثالثة: ‹يَحُضُّونَ› بالياء وحذف الألف، بمعنى: ولا يُكرِم القائلُ إذا ما ابتلاه ربُّه فأكْرَمه ونعَّمَه: ربي أكرمني، وإذا قدر عليه رزقَه: ربي أهانني، اليتيم، ولا يحضون على طعام المسكين.

الرابعة: (تُحَآضُّونَ) بالتاء وضمها وإثبات الألف.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٧٩ بتصرف) القراءات الثلاث الأولى بأنها «قراءات معروفات في قراءة الأمصار، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيب».

تفسير الآية

٨٣١٠٦- عن الحسن البصري، في قوله: (فَأَمّا الإنْسانُ) الآية، قال: (كلا) أكذَبتُهما جميعًا، ما بِالغِنى أكرَمك، ولا بالفقر أهانك. ثم أخبرهم بما يُهين، (بَلْ لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ) إلى آخره(٥). (١٥/٤١٨)

٨٣١٠٧- قال مقاتل بن سليمان: (كَلّا) ما الأمر كما قال أُميّة بن خلف، (بَلْ) يعني: لكن (لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ ولا تَحاضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ) لأنهم لا يَرجُون بها الآخرة(٦)٧١٦٦. (ز)

٧١٦٦ ذكر ابنُ عطية (٨/٦١٢) أنّ «(طعام) في هذه الآية بمعنى: إطعام». ثم نقل عن قوم قولهم: «أراد: نفس طعامه الذي يأكل». ثم وجَّهه بقوله: «ففي الكلام حذف، تقديره: على بذل طعام المسكين».

٨٣١٠٨- قال مقاتل: (بَل لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ) كان قدامة بن مظعون يتيمًا في حِجْر أُميّة بن خلف، وكان يدفعه عن حقّه(٧). (ز) تفسير البغوي ٨/٤٢١.

*****

(وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلًا لَّمّ□ا) (١٩)

تفسير (وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ)

٨٣١٠٩- عن بكر بن عبد الله المُزني -من طريق سالم- في قوله: (وتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا)، قال: اللّمّ: الاعتداء في الميراث، يأكل ميراثه وميراث غيره(١). (١٥/٤٢٠)

٨٣١١٠- عن الحسن البصري -من طريق أشعث- في قوله: ‹ويَأْكُلُونَ التُّراثَ›، قال: الميراث(٢). (١٥/٤١٩)

٨٣١١١- عن الحسن البصري -من طريق يونس- في قوله: (أَكْلًا لَمًّا)، قال: نصيبه ونصيب صاحبه(٣). (١٥/٤١٩)

٨٣١١٢- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- ‹ويَأْكُلُونَ التُّراثَ›، قال: الميراث(٤). (١٥/٤٢٠)

٨٣١١٣- قال مقاتل بن سليمان: (وتَأْكُلُونَ التُّراثَ)، يعني: تأكلون الميراث(٥). (ز)

٨٣١١٤- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: ‹ويَأْكُلُونَ التُّراثَ› الآية، قال: كانوا لا يُوَرِّثون النساء، ولا يورِّثون الصغار. وقرأ: (يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان) [النساء:١٢٧]، أي: لا تورثونهم أيضًا(٦). (١٥/٤٢١)

تفسير(أَكْلًا لَّمّ□ا)

٨٣١١٥- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله: (أَكْلًا لَمًّا)، قال: سَفًّا(٧). (١٥/٤١٩)

٨٣١١٦- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (أَكْلًا لَمًّا)، قال: أكلًا شديدًا(٨). (١٥/٤١٩)

٨٣١١٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: (أَكْلًا لَمًّا)، قال: اللّمّ: السّفّ، لفّ كلّ شيء اللّفّ(٩). (١٥/٤٢٠)

٨٣١١٨- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: (أَكْلًا لَمًّا): يقول: أكلًا شديدًا(١٠). (ز)

٨٣١١٩- عن بكر بن عبد الله المزني -من طريق سالم- في قوله: (وتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا)، قال: اللّمّ: الاعتداء في الميراث، يأكل ميراثه وميراث غيره(١١). (١٥/٤٢٠)

٨٣١٢٠- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- ‹ويَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا›، قال: شديدًا(١٢). (١٥/٤٢٠)

٨٣١٢١- عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق عبد الرحمن بن أبي الموال- في قوله: ‹ويَأكُلونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا›، قال: يأكل نصيبي ونصيبك(١٣). (١٥/٤٢١)

٨٣١٢٢- قال مقاتل بن سليمان: (وتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا)، يعني: تأكلون الميراث أكلًا شديدًا(١٤). (ز)

٨٣١٢٣- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في الآية، قال: الأكل اللّمّ: الذي يَلُمُّ كلّ شيء يجده لا يسأل عنه، يأكل الذي له والذي لصاحبه، لا يدري أحلالًا أم حرامًا(١٥). (١٥/٤٢١)

*****

(وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)

قراءات

٨٣١٢٤- عن أبي هريرة، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ * ولا يَحُضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ * ويَأْكُلُونَ التُّراثَ أكْلًا لَّمًّا * ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا› الأربعة بالياء(١). (١٥/٤٢١)

عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

والياء في الأفعال الأربعة قراءة متواترة، قرأ بها أبو عمرو، ويعقوب، وقرأ بقية العشرة بتاء الخطاب فيها. انظر: النشر ٢/٤٠٠، والإتحاف ص٥٨٤.

٨٣١٢٥- عن ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ‹كَلّا بَل لّا يُكْرِمُونَ اليَتِيمَ› إلى قوله: ‹ويُحِبُّونَ المالَ› بالياء كلّها(٢). (١٥/٤٢٢)

تفسير الآية

٨٣١٢٦- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾، قال: شديدًا(٣). (١٥/٤١٩).

٨٣١٢٧- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية- في قوله: ﴿وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾: فيُحبّون كثرة المال(٤). (ز)

٨٣١٢٨- عن عبد الله بن عباس، أنّ نافع بن الأزرق سأله عن قوله □: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾. قال: كثيرًا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميّة:

إن تغفرِ اللهمّ تغفرْ جمّا ...... وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا؟(٥). (١٥/٤١٩)

٨٣١٢٩- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾، قال: الجمّ: الكثير(٦). (١٥/٤٢٠)

٨٣١٣٠- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾: يُحبّون كثرة المال(٧). (ز)

٨٣١٣١- عن الحسن البصري، في قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾، قال: فاحشًا(٨). (١٥/٤٢٠)

٨٣١٣٢- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- ‹ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا›، قال: شديدًا(٩). (١٥/٤٢٠)

٨٣١٣٣- قال مقاتل بن سليمان: ﴿وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ويجمعون المال جمعًا كثيرًا، وهي بِلُغة مالك بن كنانة(١٠). (ز)

٨٣١٣٤- عن سفيان أنه قال في قوله: ‹ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا›، قال رسول الله ﷺ: «ما منكم مِن أحد إلا ومالُ وارثه أحبُّ إليه مِن ماله». قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وماله أحبُّ إليه مِن مال وارثه! قال: «ليس لك مِن مالك إلا ما أكلتَ فأَفنيتَ، أو لبِستَ فأَبليتَ، أو أعطيتَ فأَمضيتَ»(١١). (١٥/٤٢١)

٨٣١٣٥- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: ﴿وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾، قال: الجَمّ: الشديد(١٢). (ز)

(فَأَمَّا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠)

غريب الكلمات:

فَقَدَرَ: أي: ضيَّق، فلم يُكْثِرْ مالَه، ولم يُوَسِّعْ عليه، يقال: قَدَرْتُ عليه الشَّيءَ: ضيَّقْتُه، كأنَّما جعَلْته بقَدرٍ، وقُدِر عليه الرِّزقُ، أي: أُعْطِيَ ذلك بقَدْرٍ يَسِيرٍ، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِه ونِهايَتِه .

وَلَا تَحَاضُّونَ: أي: لا يَحُضُّ بعضُكم بعضًا، وأصْلُه: تَتَحاضُّونَ، فحَذَف إحدَى التَّاءيْنِ، وأصلُ (حضض) هنا: البَعْثُ على الشَّيءِ .

التُّرَاثَ: أي: الميراثَ، وهو: أن يكونَ الشَّيءُ لقَومٍ ثمَّ يَصيرَ إلى آخَرينَ بنَسَبٍ أو سَبَبٍ .

لَمًّا: أي: مجتَمِعًا شَديدًا، وهو أن يأكُلَ نَصيبَه ونَصيبَ غَيرِه، واللَّمُّ: الجَمعُ الشَّديدُ، مِن قولِكَ: لَمَمتُ الطَّعامَ لَمًّا: إذا أكَلْتَه جَميعًا. والآكِلُ اللَّمَّ: الَّذي يأكُلُ كُلَّ شَيءٍ يَجِدُه، لا يَسألُ عنه: أحلالٌ هو أمْ حرامٌ، ويأكُلُ الَّذي له ولغَيرِه، وأصلُ (لمم): يدُلُّ على اجْتِماعٍ ومُقارَبةٍ ومُضامَّةٍ .

جَمًّا: أي: كثيرًا، وأصلُ (جمم): يدُلُّ على كَثرةِ الشَّيءِ واجتِماعِه .

المعنى الإجمالي:

يقولُ تعالى مبيِّنًا حالَ الإنسانِ عندَ اليُسرِ والعُسرِ، والغِنى والفَقرِ: فأمَّا الإنسانُ إذا اختبَرَه رَبُّه بالغِنى، فأكرَمَه بسَعةِ الرِّزقِ، وجعَلَه مُنعَّمًا مُترَفًا؛ فيقولُ جاهِلًا بأنَّ اللهَ يمتَحِنُه: رَبِّي أكرَمَني بذلك! وأمَّا إذا اختبَرَ اللهُ الإنسانَ بالفَقْرِ، فضَيَّقَ عليه رِزْقَه؛ فيَقولُ مُتضَجِّرًا جاهِلًا بأنَّ اللهَ يمتَحِنُه: رَبِّي أذَلَّني بذلك!

ثمَّ يقولُ سُبحانَه ردًّا على قولِ الإنسانِ في هذينِ الحالَينِ، ومبيِّنًا ما هو أشنَعُ منه: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ الإنسانُ أنَّ إغناءَه إكرامٌ له مِنَ اللهِ، وإفقارَه إهانةٌ من اللهِ، بل لا تُكرِمونَ -أيُّها النَّاسُ- اليتيمَ؛ فتُحسِنوا إليه، ولا يَحُثُّ بَعضُكم بعضًا على إطعامِ المِسكينِ، وتأكُلونَ الميراثَ أكلًا شديدًا، فتأخُذونَ منه نصيبَ غَيرِكم مِنَ النِّساءِ والصِّغارِ، وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا كثيرًا مُفرِطًا!

تفسير الآيات:

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذكر سُبحانَه أنَّ عادةَ هؤلاء الفِرَقِ كانت الطُّغيانَ، وذكَرَ أنَّ عادةَ الرَّبِّ سُبحانَه فيمَن تولَّى وكَفَر أنَّه يُعَذِّبُه -كما هدَّد به آخِرَ السُّورةِ السَّابِقةِ-، ودَلَّ على ذلك بما شُوهِدَ في الأُمَمِ، وعَلَّل ذلك بأنَّه لا يَغفُلُ؛ ذَكَر عادةَ الإنسانِ مِن حيثُ هو مِن غيرِ تَقييدٍ بهؤلاء الفِرَقِ عِندَ الابتلاءِ في حالَيِ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ؛ فقال مُشيرًا إلى جوابِ ما كانت الكُفَّارُ تَقولُه مِن أنَّهم آثَرُ عِندَ

اللهِ مِنَ المُسلِمينَ؛ فلا يُساعِدُ عليهم في الدُّنيا، وكذا تَقَلُّلُ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم مِنَ الدُّنْيا :

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15).

أي: فأمَّا الإنسانُ إذا اختبَرَه رَبُّه بالغِنى، فأكرَمَه بسَعةِ الرِّزقِ، وجعَلَه مُنعَّمًا مُترَفًا؛ فيقولُ جاهِلًا بأنَّ اللهَ يمتَحِنُه: رَبِّي أكرَمَني بذلك؛ ظنًّا منه أنَّ إكرامَ اللهِ في الدُّنيا وإنعامَه عليه دليلٌ على كرامتِه عِندَه !

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/376)، ((تفسير القرطبي)) (20/51)، ((تفسير ابن كثير)) (8/398)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/33)، ((تفسير السعدي)) (ص: 923)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 196). قال ابنُ عطيَّة: (ذَكَر اللهُ تعالى في هذه الآيةِ ما كانت قُرَيشٌ تقولُه تَستَدِلُّ به على إكرامِ اللهِ تعالى وإهانتِه لعَبدِه؛ وذلك أنَّهم كانوا يَرونَ أنَّ مَن عندَه الغِنى والثَّروةُ والأولادُ فهو المُكرَمُ، وبضِدِّه المُهانُ، ومِن حيثُ كان هذا المقطَعُ غالِبًا على كثيرينَ مِنَ الكُفَّارِ جاء التَّوبيخُ في هذه الآيةِ لاسمِ الجِنسِ؛ إذ يقَعُ بعضُ المؤمِنينَ في شَيءٍ مِن هذا المَنزَعِ). ((تفسير ابن عطية)) (5/479). وقال السعدي: (يخبِرُ تعالى عن طبيعةِ الإنسانِ مِن حيثُ هو، وأنَّه جاهِلٌ ظالمٌ، لا عِلْمَ له بالعواقِبِ). ((تفسير السعدي)) (ص: 923). وقال ابنُ القَيِّمِ: (فالإنسانُ مِن حيثُ هو عارٍ عن كُلِّ خَيرٍ مِنَ العِلمِ النَّافِعِ والعَمَلِ الصَّالحِ، وإنَّما اللهُ سُبحانَه هو الَّذي يُكمِلُه بذلك ويُعْطيه إيَّاه، وليس له ذلك مِن نَفْسِه، بل ليس له مِن نَفْسِه إلَّا الجَهْلُ المُضادُّ للعِلْمِ، والظُّلْمُ المُضادُّ للعَدْلِ، وكُلُّ عِلمٍ وعَدْلٍ وخَيرٍ فيه فمِن رَبِّه لا مِن نَفْسِه). ((عدة الصابرين)) (ص: 192).

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16).

أي: وأمَّا إذا اختبَرَ اللهُ الإنسانَ بالفَقْرِ، فضَيَّقَ عليه رِزْقَه؛ فيَقولُ مُتضَجِّرًا جاهِلًا بأنَّ اللهَ يمتَحِنُه: رَبِّي أذَلَّني بذلك !

كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17).

<u>مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:</u>

لَمَّا حكى تعالى مِن أقوالِهم تلك الشُّبهةَ، فكأنَّه قال: بل لهم فِعلٌ هو شَرٌّ مِن هذا القَولِ، وهو أنَّ اللهَ تعالى يُكرِمُهم بكثرةِ المالِ، فلا يُؤَدُّونَ ما يَلزَمُهم فيه مِن إكرامِ اليتيمِ !

كَلَّا.

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ الإنسانُ أنَّ إغناءَه إكرامٌ له مِنَ اللهِ، وإفقارَه إهانةٌ؛ فاللهُ يُغْني من يَشاءُ ولو كان كافِرًا، ويُفقِرُ مَن يشاءُ ولو كان مُؤمِنًا؛ ابتِلاءً منه لعبادِه بالغِنى والفَقْرِ بمُقتَضى حِكمتِه فيهم، وهو إنَّما يُكرِمُ بطاعتِه، ويُهينُ بمَعصيتِه .

كما قال تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: 35] .

وقال سُبحانَه: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات: 13] .

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (4/483)، ((تفسير القرطبي)) (20/52)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (16/53) و(22/447)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (1/101)، ((الفوائد)) لابن القيم (ص: 155)، ((تفسير ابن كثير)) (8/398)، ((تفسير السعدي)) (ص: 924)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 197). قال ابن تيميَّةَ: (بل قد

يُوسِّعُ عليه رِزْقَه إملاءً واستِدراجًا، وقد يَقْدِرُ عليه رِزْقَه حمايةً وصِيانةً له، وضِيقُ الرِّزقِ على عَبدٍ مِن أهلِ الدِّينِ قد يكونُ لِما له مِن ذُنوبٍ وخطايا). ((مجموع الفتاوى)) (16/53). وقال ابن القيِّم: (أي: ليس الأمرُ كما يقولُ الإنسانُ، بل قد أَبتلي بنعمتي، وأُنعِمُ ببَلائي!). ((عدة الصابرين)) (ص: 160). ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/34)

بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ.

أي: أنتم -أيُّها النَّاسُ- مَن تَستهينونَ بأمرِ اللهِ فتَعصُونَه، فلا تُكرِمونَ اليتيمَ الَّذي فقَدَ أباه دونَ سِنِّ البُلوغِ؛ فتَسُدُّوا حاجتَه، وتُحسِنوا إليه ولا تَظلِموه شيئًا .

كما قال تبارك وتعالى: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ [النساء: 36] .

وقال سُبحانَه وتعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ [الإسراء: 34] .

وقال عزَّ وجَلَّ: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ [الضحى: 9] .

وقال تبارك وتعالى: فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ [الماعون: 2] .

وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18).

أي: ولا يَحُثُّ بَعضُكم بعضًا على إطعامِ المِسكينِ .

كما قال الله تبارك وتعالى: وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ [الإسراء: 26] .

وقال سُبحانَه: وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [الماعون: 3] .

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19).

<u>**مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:**</u>

لَمَّا دَلَّ على حُبِّ الدُّنيا بأمرٍ خارجيٍّ؛ دَلَّ عليه بأمرٍ في الإنسانِ؛ فقال تعالى :

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19).

أي: وتأكُلونَ الميراثَ أكلًا شديدًا لا تَترُكونَ منه شَيئًا، فتأخُذونَ منه نصيبَ غَيرِكم مِنَ النِّساءِ والصِّغارِ !

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20).

أي: وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا كثيرًا مُفرِطًا، فتَحرِصونَ على جَمْعِه واقتنائِه، فلا تُنفِقونَه في الخَيرِ .

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران: 14] .

وقال سُبحانَه: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ [القيامة: 20-21] .

وقال تعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [الأعلى: 16-17] .

وقال الله سبحانه وتعالى: الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ [الهمزة: 2-3] .

وقال تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ [العاديات: 8] .

الفوائد التربوية:

1- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ أنَّ المتنعِّمَ لا ينبغي أن يَغفُلَ عن العاقبةِ؛ فالأمورُ بخواتيمِها، والفقيرُ والمحتاجُ لا ينبغي أن يَغفُلَ عمَّا لله عليه مِن النِّعَمِ الَّتي لا حَدَّ لها؛ مِن سلامةِ البَدَنِ والعَقلِ والدِّينِ، ودَفعِ الآفاتِ والآلامِ الَّتي لا حَدَّ لها ولا حَصْرَ؛ فلا ينبغي أن يقضيَ على نَفْسِه بالإهانةِ مُطلقًا !

2- قولُه تعالى: فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ذمٌّ لِمَن يَقولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِ؛ لأنَّه يقولُ ذلك مُفتخِرًا به على غيرِه، ومُستدِلًّا به على عُلوِّ مَنزلتِه في الآخرةِ، ومُعتقِدًا استحقاقَ ذلك على ربِّه، وأمَّا إذا قاله على وَجْهِ الشُّكرِ، والتَّحدُّثِ بنِعمةِ اللهِ تعالى، فليس بمَذمومٍ، بلْ مَمدوحٌ .

3- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ إشارةٌ إلى أنَّه يجِبُ على الإنسانِ أنْ يَتَبَصَّرَ، فيَقولَ مثلًا: لماذا أعطاني اللهُ المالَ؟ ماذا يريدُ منِّي؟ يريدُ منِّي أنْ أشكرَ، لماذا ابتلاني اللهُ بالفقرِ، بالمرضِ وما أَشْبَهَ ذلك؟ يريدُ منِّي أنْ أصبرَ. فلْيَكُنْ مُحاسِبًا لنَفْسِه؛ حتَّى لا يكونَ مِثْلَ حالِ الإنسانِ المبنيَّةِ على الجَهلِ والظُّلمِ؛ ولهذا قال تعالى: كَلَّا يعني: لم يُعْطِك ما أعطاك إكرامًا لك لأنَّك مُستَحِقٌّ، ولكنَّه تَفَضُّلٌ منه، ولم يُهِنْك حينَ قَدَرَ عليك رِزْقَه، بل هذا مُقتَضى حِكمتِه وعَدْلِه .

4- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ أنَّ لشأنِ اللهِ في مُعامَلتِه النَّاسَ في هذا العالَمِ أسرارًا وعِلَلًا لا يُحاطُ بها، وأنَّ أهلَ الجَهالةِ بمَعزِلٍ عن إدراكِ سِرِّها بأقيسةٍ وَهميَّةٍ، والاستنادِ لمألوفاتٍ عاديَّةٍ، وأنَّ الأَولى لهم أن يتطَلَّبوا الحقائقَ مِن دلائِلِها العَقليَّةِ، وأن يَعرِفوا مرادَ اللهِ مِن وَحيِه إلى رُسُلِه، وأن يَحذَروا مِن أن يَحيدوا بالأدِلَّةِ عن مَدلولِها، وأن يَستَنتِجوا الفُروعَ مِن غيرِ أُصولِها، وأمَّا أهلُ العِلمِ فهم يَضعونَ الأشياءَ مَواضِعَها، ويتوسَّمونَ التَّوسُّمَ المستَنِدَ إلى الهَدْيِ، ولا يَخلِطونَ ولا يَخبِطونَ .

5- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ تعليمٌ ألَّا نَنظُرَ إلى ظواهِرِ الأُمورِ دونَ بَواطِنِها، وإلى الجُسْمانيَّاتِ الحِسِّيَّةِ دونَ ما وراءَها مِن مَعانٍ عَقليَّةٍ، بل نَعبُرُ مِنَ الظَّواهِرِ إلى البواطِنِ، وننظُرُ مِنَ المحسوسِ إلى المعقولِ، ونجعَلُ حواسَّنا خادِمةً لعُقولِنا، ونجعَلُ عُقولَنا هي المتصَرِّفةَ الحاكِمةَ بالنَّظَرِ والتَّفكيرِ، وكما في قَولِه تبارك وتعالى: قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ [المائدة: 100] ، فلا يَنظُرُ إلى بَهرجةِ الكَثرةِ، ولكِنْ إلى حقيقةِ وحالةِ الشَّيءِ الكثيرِ، فيَعتَبِرُ بحَسَبِهما، وأنَّه لا يجوزُ أن نغتَرَّ بالمالِ والقُوَّةِ والجاهِ وأنواعِ النَّعيمِ إذا سِيقَت إلينا، فنَحسَبَ أنَّها هي نَفْسُ الكرامةِ الرَّبَّانيَّةِ الَّتي دُعِينا إلى العَمَلِ لنَيْلِها، بل إنَّما نَعُدُّها كذلك إذا كان معها التَّوفيقُ إلى شُكرِها بالقيامِ بحُقوقِها، وصَرْفِها في وُجوهِها، ولا نغتَرَّ بحالةِ الضِّيقِ والعُسْرِ والضَّعفِ، فنَحسَبَ أنَّها إهانةٌ مِنَ اللهِ لصاحِبِها، بل علينا أن ننظُرَ إلى ما معها من

صَبرٍ ورجاءٍ وبِرٍّ، أو ضَجَرٍ ويأسٍ وفُجورٍ، فنَعلَمَ حينَئذٍ أنَّها مع الأُولى للتَّمحيصِ والتَّثَبُّتِ، ومع الأخيرةِ للزَّجرِ والعِقابِ بعَدْلٍ وحِكمةٍ مِن أحكَمِ الحاكِمينَ .

6- في قَولِه تعالى: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ لم يقُلْ: «فأهانَه» مَوضِعَ «قَدَرَ عليه»؛ تعليمًا للأدَبِ معه سُبحانَه وتعالى، وصَونًا لأهلِ اللهِ عن هذه العِبارةِ؛ لأنَّ أكثَرَهم مُضَيَّقٌ عليه في دُنياه، ولأنَّ تَرْكَ الإكرامِ لا يَنحَصِرُ في كونِه إهانةً !

7- وُقوفُ هِمَّةِ العَبدِ عندَ مُرادِ نَفْسِه فقط: مِن ضَعفِ الهِمَّةِ؛ ولهذا لامَهم اللهُ على عدمِ اهتِمامِهم بأحوالِ الخَلْقِ المحتاجِينَ، فقال تعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ .

8- في قَولِه تبارك وتعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ إشارةٌ إلى أنَّه ينبغي لنا أنْ نُكْرِمَ الأيتامَ، وأنْ يَحُضَّ بعضُنا بعضًا على إطعامِ المساكينِ؛ لأنَّهم في حاجةٍ، واللهُ تعالى في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه .

9- في قَولِه تبارك وتعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ أنَّ الفَقرَ والغِنى ابتِلاءٌ مِنَ اللهِ لعَبْدِه؛ فليس كلُّ مَن أعطاه ووسَّعَ عليه فقد أكرَمَه، ولا كُلُّ مَن ضَيَّق عليه وقَتَّرَ عليه الرِّزقَ فقد أهانه، والإكرامُ أن يُكرَمَ العَبدُ بطاعةِ اللهِ ومحبَّتِه ومَعرفتِه، والإهانةُ أن يَسلُبَه ذلك، ولا يَقَعُ التَّفاضُلُ بالغِنى والفَقْرِ، بل بالتَّقوى .

10- قال تعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا فبَيَّن حقيقةَ فِتنةِ المالِ إيجابًا وسَلْبًا، جمعًا وبَذْلًا؛ فبدَأَ بأقبَحِ الوُجوهِ مِنَ الإمساكِ؛ مِن

عَدَمِ إكرامِ اليَتيمِ مَهيضِ الجَناحِ، مَكسورِ الخاطِرِ، والتَّقاعُسِ عن إطعامِ المسكينِ خالي اليَدِ، جائِعِ البَطنِ، ساكِنِ الحَرَكةِ، وهذان الجانِبانِ أهَمُّ مُهِمَّاتِ بَذْلِ المالِ، وهم يُمسِكونَ عنها! وقد بَيَّن تعالى أنَّ هذا الجانِبَ هو اقتِحامُ العَقَبةِ عند الشِّدَّةِ، في قَولِه تعالى في سُورةِ «البَلَدِ»: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ [البلد: 11 - 16] .

ومِن الجانِبِ الآخَرِ: وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا أي: الميراثَ، فلا يُعطُونَ النِّسوةَ، وهنَّ ضعيفاتُ الشَّخصيَّةِ، أحوَجُ إلى مالِ مُورِّثِهِنَّ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا حتَّى استعبَدَكم وألهاكم التكاثُرُ فيه.

وهنا لَفتُ نَظَرٍ للفَريقَينِ؛ فمَن أُعطِيَ منهم لا ينبغي له أن يُغفِلَ طُرُقَ البَذلِ الهامَّةَ، ومَن مُنِعَ لا ينبغي له أن يَستَشرِفَ إلى ما لا ينبغي له .

11- في قَولِه تعالى: وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ذَمٌّ جَمعِ المالِ مِن غيرِ حِلِّه .

12- قوله تعالى: وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا هذا ذَمٌّ للحِرْصِ على المالِ وشِدَّةِ الرَّغبةِ فيه .

الفوائد العلمية واللطائف:

1- في قَولِه سبحانه وتعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ إلى قَولِه: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ سؤالٌ: كيف ذَمَّ سُبحانَه مَن يقولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِ مع أنَّه صادِقٌ فيه؛ لِقَولِه تعالى: فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ، ومع أنَّه متحَدِّثٌ بالنِّعمةِ، وهو مأمورٌ بالتحَدُّثِ بها؛ لِقَولِه تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى: 11] ؟!

الجوابُ مِن أوجُهٍ:

الأوَّلُ: أنَّ المذموم هو أن يقولَ ذلك مفتَخِرًا، ومعتَقِدًا استِحقاقَه ذلك، كما في قَولِه تعالى: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي [القصص: 78] ، أمَّا الممدوحُ فهو أن يقولَه على وَجهِ الشُّكرِ والتَّحَدُّثِ بنِعمةِ اللهِ تعالى ، فلا تَنافيَ بيْن إثباتِ إكرامِ اللهِ تعالى الإنسانَ بقَولِه: فَأَكْرَمَهُ وبيْن إبطالِ ذلك بقَولِه: كَلَّا؛ لأنَّ الإبطالَ وارِدٌ على ما قَصَده الإنسانُ بقَولِه: رَبِّي أَكْرَمَنِ أنَّ ما ناله مِن النِّعمةِ عَلامةٌ على رِضا اللهِ عنه .

الثَّاني: أن ينساقَ الإنكارُ والذَّمُّ إلى قَولِه: رَبِّي أَهَانَنِ يعني: أنَّه إذا تُفُضِّلَ عليه بالخَيرِ وأُكرِمَ به اعتَرَف بتفَضُّلِ اللهِ وإكرامِه، وإذا لم يُتفضَّلْ عليه سَمَّى تَرْكَ التَّفَضُّلِ هوانًا، وليس بهوانٍ .

الثَّالثُ: أن اللَّفظَ الَّذي أَخْبَرَ اللهُ به وإن كان مِثْلَ اللَّفظِ الَّذي أنكَرَه اللهُ مِن كلامِ المبتلَى! لكنَّ المعنى مختلِفٌ؛ فإنَّ المبتلَى اعتقدَ أنَّ هذه كرامةٌ مطلَقةٌ، وهي النِّعمةُ الَّتي يَقْصِدُ بها أنَّ النِّعَمَ إكرامٌ له، والإنعامَ بنعمةٍ لا يكونُ سببًا لعَذابٍ أعظمَ منها، وليس الأمرُ كذلك، بلِ اللهُ تعالى ابتلاه بها ابتلاءً لِيتبيَّنَ أيُطيعُه فيها أم يَعصيه، مع عِلْمِه بما سيكونُ مِن الأمْرَينِ، لكِنَّ العلمَ بما سيكونُ شيءٌ، وكونُ الشَّيءِ والعِلمُ به شَيءٌ، وأمَّا قولُه تعالى: فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فإنَّه تكريمٌ بما فيه مِن اللَّذَّاتِ؛ ولهذا قَرَنَه بقَولِه: وَنَعَّمَهُ؛ ولهذا كانت خوارقُ العاداتِ الَّتي تُسَمِّيها العامَّةُ كرامةً ليست عندَ أهلِ التَّحقيقِ كرامةً مطلقًا، بل في الحقيقةِ الكرامةُ هي لزومُ الاستقامةِ، وهي طاعةُ اللهِ، وإنَّما تلك الخوارِقُ هي ممَّا يَبتلي اللهُ به عبدَه، فإنْ أطاعَه بها رَفَعَه، وإنْ عصاه بها خَفَضَه، وإنْ كانت مِن آثارِ طاعةٍ أُخرى، كما قال تعالى: وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ

ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا [الجن: 16-17] ، وإذا كان في النِّعمةِ والكرامةِ هذان الوَجهانِ فهي مِن بابِ الأمرِ والشَّرعِ نعمةٌ يجِبُ الشُّكرُ عليها، وفي بابِ الحقيقةِ القَدَرِيَّةِ لم تكُنْ للفاجرِ إلَّا فِتنةً ومِحنةً استوجبَ بمَعصيةِ اللهِ فيها العَذابَ .

2- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ سُؤالٌ: كيف سَمَّى اللهُ تعالى بَسْطَ الرِّزقِ وتَقديرَه ابتِلاءً؟!

الجوابُ: لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما اختبارٌ للعَبدِ؛ فإذا بَسَطَ له فقد اختبَرَ حالَه: أيَشكُرُ أم يَكفُرُ؟ وإذا قَدَر عليه فقد اختبَرَ حالَه: أيَصبِرُ أم يَجزَعُ؟ فالحِكمةُ فيهما واحِدةٌ، ونحوُه قَولُه تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: 35] .

3- في قَولِه تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ قال: «كَلَّا»، وهذا فيه زجرٌ وتنبيهٌ؛ زجرٌ عن مِثْلِ هذا القَولِ، وتنبيهٌ على ما يُخبَرُ به ويُؤمَرُ به بَعْدَه؛ وذلك أنَّه ليس كلُّ مَن حَصَلَ له نِعَمٌ دُنيويةٌ تُعَدُّ كرامةً يكونُ اللهُ عزَّ وجَلَّ مُكرِمًا له بها، ولا كلُّ مَن قُدِرَ عليه ذلك يكونُ مُهِينًا له بذلك، بل هو سُبحانَه يَبتلي عبدَه بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ؛ فقد يُعْطي النِّعَمَ الدُّنيويَّةَ لِمَن لا يُحِبُّه ولا هو كَريمٌ عندَه؛ لِيَستدرِجَه بذلك، وقد يَحمي منها مَن يُحِبُّه ويُواليه؛ لئلَّا تَنْقُصَ بذلك مَرتبتُه عندَه، أو يَقَعَ بسَبَبِها فيما يَكرَهُه منه .

4- قال تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ اعلَمْ أنَّ مِن

ضَلالِ أهلِ الشِّركِ ومِن فِتنةِ الشَّيطانِ لبَعضِ جَهَلةِ المؤمِنينَ أن يُخَيِّلَ إليهم ما يحصُلُ لأحدٍ بجَعْلِ اللهِ مِن ارتباطِ المسَبَّباتِ بأسبابِها والمعلولاتِ بعِلَلِها، فيَضَعوا ما يصادِفُ نَفعَ أحَدِهم مِن الحوادِثِ مَوضِعَ كَرامةٍ مِنَ اللهِ للَّذي صادَفَتْه منافِعُ ذلك؛ تحكيمًا للشَّاهيةِ، ومحبَّةً للنَّفسِ، ورَجمًا بالغَيبِ، وافتياتًا على اللهِ، وإذا صادَفَ أحَدَهم مِن الحوادِثِ ما جَلَب له ضَرًّا تَخَيَّلَه بأوهامِه انتقامًا مِنَ اللهِ قَصَدَه به؛ تشاؤمًا منهم، فهؤلاء الَّذين زَعَموا ما نالهم مِن نِعمةِ اللهِ إكرامًا مِنَ اللهِ لهم: ليسوا أهلًا لكَرامةِ اللهِ، وهؤلاء الَّذين توَهَّموا ما صادَفهم مِن فُتورِ الرِّزقِ إهانةً مِنَ اللهِ لهم: ليسوا بأحَطَّ عندَ اللهِ مِن الَّذين زعَموا أنَّ اللهَ أكرَمَهم بما هم فيه مِن نِعمةٍ. فذلك الاعتقادُ أوجَبَ تَغَلغُلَ أهلِ الشِّركِ في إشراكِهم، وصَرْفَ أنظارِهم عن التَّدَبُّرِ فيما يخالِفُ ذلك، ورُبَّما جَرَّت الوساوِسُ الشَّيطانيَّةُ فِتنةً مِن ذلك لبَعضِ ضُعَفاءِ الإيمانِ وقِصارِ الأنظارِ، والجُهَّالِ بالعَقيدةِ الحَقِّ .

5- (أمَّا) كَلمةُ تَفصيلٍ، ولا يَجِيءُ إلَّا مُتعدِّدًا، ومِن شَرطِ مَدخولِها التَّوازُنُ بيْن الفقرتينِ والتَّقابُلُ بيْنَهما؛ فإنْ كان بعْدَ الأُولى اسمًا، فالواجبُ بعْدَ الثَّانيةِ الاسمُ، نحْوُ قولِك: أمَّا الكافرُ فكَفورٌ، وأمَّا المؤمنُ فشَكورٌ، وإنْ كان شَرطًا فشَرطًا، نحْو قولِك: أمَّا إذا أحسَنتَ إلى زَيدٍ فهو مُحسِنٌ إليك، وأمَّا إذا أسَأْتَ إليه فهو مُسيءٌ إليك، وجاء هنا الاسمُ بعْدَ الأُولى فَأَمَّا الْإِنْسَانُ، والشَّرطُ بعْدَ الثَّانيةِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ، فلا تَوازُنَ بيْنَهما.

والجوابُ عن هذا: أنَّ الموازنةَ حاصلةٌ؛ لأنَّ (أمَّا) التَّفصيليَّةَ تَقْتضي أنْ يكونَ مَدخولُها مُبتدأً، وخبرُها مقيَّدًا بالفاءِ، و(إذا) هاهنا لَيست بشَرْطٍ، بلْ هي ظَرفٌ، وفَيَقُولُ خبَرُ المبتدأِ، ودُخولُ الفاءِ لتَضمُّنِ (أمَّا) معْنى الشَّرطِ،

فيُقدَّرُ في قولِه: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ مُبتدأٌ، فتَقديرُ الكلامِ: وأمَّا هو إذا ما ابتَلاهُ ربُّه .

6- في قَولِه تبارك وتعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ أنَّ المسكينَ حَظُّه الإطعامُ ودَفْعُ حاجتِه، أمَّا اليتيمُ فالإكرامُ؛ فإنْ كان غنيًّا فإنَّه يُكرِمُه لِيُتْمِه، ولا يُطْعَمُ لِغَناه، وإنْ كان اليتيمُ فقيرًا فإنَّه يُكرَمُ ليُتمِه ويُطعَمُ لفَقْرِه .

7- في قَولِه تعالى: طَعَامِ الْمِسْكِينِ في إضافةِ الطَّعامِ إلى المسكينِ إشارةٌ إلى أنَّه شَريكٌ للغَنيِّ في مالِه بقَدْرِ الزَّكاةِ .

بلاغة الآيات:

1- قولُه تعالَى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ

- الفاءُ في فَأَمَّا الْإِنْسَانُ رابطةٌ بيْن الكلامَينِ، ومُؤذِنةٌ بالبَونِ بيْن الأمْرينِ المُتنافيَينِ؛ وذلك أنَّه تعالَى يَطلُبُ مِن العِبادِ الطَّاعةَ والعِبادةَ، وهو بالمِرصادِ كالمُترقِّبِ الَّذي لا يَفوتُه شَيءٌ مِن أعمالِ عِبادِه، فيُحاسِبُهم على النَّقيرِ والقِطميرِ ويُجازيهم عليها، والإنسانُ غافلٌ مُولَعٌ بالتَّلهِّي، ومُنغمِسٌ في أُمورِ العاجلةِ؛ إنْ أصابَه نَصيبٌ مِن الدُّنيا اطمَأنَّ إليه، وإنْ جاوَزَه حظٌّ منها ضَجِرَ وقَنِطَ ؛ فدلَّت الفاءُ في قولِه: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ على أنَّ الكلامَ الواقعَ بعْدَها مُتَّصلٌ بما قبْلَها ومُتفرِّعٌ عليه لا مَحالةَ؛ وذلك أنَّ الكلامَ السَّابقَ اشتَمَلَ على وصْفِ ما كانت تَتمتَّعُ به الأُمَمُ المُمثَّلُ بها ممَّا أنعَمَ اللهُ عليها به مِن النِّعَمِ، وهُمْ لاهُونَ عن دَعوةِ رُسلِ اللهِ، ومُعرِضون عن طلَبِ مَرضاةِ ربِّهم، مُقتحِمون المَناكرَ الَّتي نُهُوا عنها،

بَطِرون بالنِّعمةِ، مُعجَبون بعَظَمتِهم، فعُقِّبَ ذِكرُ ما كانوا عليه وما جازاهُم اللهُ به عليه مِن عَذابٍ في الدُّنيا؛ باستخلاصِ العِبرةِ؛ ففاءُ التَّفريعُ مُرتبطةٌ بجُملةِ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر: 14] بما فيها مِن العُمومِ الَّذي اقتضاهُ كَونُها تَذْييلًا، والمعْنى: هذا شأْنُ ربِّك الجاري على وَفْقِ عِلمِه وحِكمتِه، فأمَّا الإنسانُ الكافرُ فيَتوهَّمُ خِلافَ ذلك؛ إذ يَحسَبُ ما يَنالُه مِن نِعمةٍ وسَعةٍ في الدُّنيا تَكريمًا مِن اللهِ له، وما يَنالُه مِن ضِيقِ عَيشٍ إهانةً أهانَه اللهُ بها، وهذا التَّوهُّمُ يَستلزِمُ ظَنَّهم أفعالَ اللهِ تعالَى جاريةً على غيرِ حِكمةٍ، فأعْلَمَ اللهُ رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمؤمنينَ بالحقيقةِ الحقِّ، ونبَّهَهم لتَجنُّبِ تَخليطِ الدَّلائلِ الدَّقيقةِ السَّاميةِ، وتَجنُّبِ تَحكيمِ الواهمةِ والشَّاهيةِ، وذكَّرَهم بأنَّ الأحوالَ الدُّنيويَّةَ أعراضٌ زائلةٌ ومُتفاوِتةُ الطُّولِ والقِصَرِ، وفي ذلك كلِّه إبطالٌ لمُعتقَدِ أهلِ الشِّركِ وضَلالِهم الَّذي كان غالبًا على أهْلِ الجاهليَّةِ .

- والمرادُ بالإنسانِ هنا الجِنسُ، وتَعريفُه تَعريفُ الجِنسِ، فيَستغرِقُ أفرادَ الجِنسِ، ولكنَّه استغراقٌ عُرْفيٌّ مُرادٌ به النَّاسُ المشرِكون؛ لأنَّهم الغالبُ على النَّاسِ المُتحدَّثِ عنهم؛ فلَمَّا كان هذا غالبًا على الكفَّارِ، جاء التَّوبيخُ في هذه الآيةِ باسمِ الجِنسِ؛ إذ يقَعُ بعضُ المؤمنينَ في شَيءٍ مِن هذا المَنزعِ! وقيل: أُريدَ إنسانٌ مُعيَّنٌ .

- قولُه: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ خبَرٌ للمُبتدأِ الَّذي هُوَ الْإِنْسَانُ، وجِيءَ بالفاءِ لِما في (أمَّا) مِن مَعْنى الشَّرطِ، والظَّرفُ المتوسِّطُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ على نِيَّةِ التَّأخيرِ، كأنَّه قيلَ: فأمَّا الإنسانُ فيَقولُ: ربِّي أكْرَمَنِ وَقتَ ابتلائِه

بالإنعامِ، وإنَّما تَقديمُه للإيذانِ مِن أوَّلِ الأمرِ بأنَّ الإكرامَ والتَّنعيمَ بطَريقِ الابتلاءِ؛ ليتَّضِحَ اختلالُ قولِه المَحكيِّ .

- وحرْفُ (أمَّا) يُفيدُ تَفصيلًا في الغالبِ، أي: يدُلُّ على تَقابُلٍ بيْن شَيئينِ مِن ذَواتٍ وأحوالٍ؛ ولذلك قد تكرَّرَ في الكَلامِ -فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ... وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ...-؛ فليس التَّفصيلُ المُستفادُ منها بمعْنى تَبيينِ مُجمَلٍ قبْلَها، بلْ هو تَفصيلٌ وتَقابُلٌ وتَوازُنٌ، وهو ضرْبٌ مِن ضُروبِ التَّفصيلِ الَّذي تَأتي له (أمَّا)، فارتباطُ التَّفصيلِ بالكلامِ السَّابقِ مُستفادٌ مِن الفاءِ الدَّاخلةِ على (أمَّا)، فالمُفصَّلُ هنا أحوالُ الإنسانِ الجاهلِ؛ فُصِّلَت إلى حالِه في الخفْضِ والدَّعةِ، وحالِه في الضَّنكِ والشِّدَّةِ، فالتَّوازُنُ بيْن الحالينِ المُعبَّرِ عنهما بالظَّرفَينِ في قولِه: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ إلخ، وقولِه: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وهذا التَّفصيلُ ليس مِن قَبيلِ تَبيينِ المُجمَلِ، ولكنَّه تَمييزٌ وفصْلٌ بيْن شَيئينِ، أو أشياءَ تَشتبِهُ أو تَختلِطُ .

- ومعْنى فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أعطاهُ بقَدْرٍ مَحدودٍ، ومنه التَّقتيرُ، وكلُّ ذلك كِنايةٌ عن القِلَّةِ .

- قولُه: فَقَدَرَ قُرِئَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ ، وهما بمعنًى واحدٍ بمعنى ضَيَّقَ، وفي قراءةِ التَّشديدِ مُبالَغةٌ .

- واقتصارُ الآيةِ على تَقتيرِ الرِّزقِ في مُقابَلةِ النِّعمةِ دُونَ غيرِ ذلك مِن العِلَلِ والآفاتِ؛ لأنَّ غالبَ أحوالِ المشركين المُتحدَّثِ عنهم صِحَّةُ المزاجِ وقُوَّةُ الأبدانِ، فلا يَهلِكون إلَّا بقتْلٍ أو هَرَمٍ فيهم وفي ذَوِيهم، وقد عُرِفَ هذا الاعتقادُ الضَّالُّ مِن كَلامِ أهلِ الجاهليَّةِ، وجَعَلوا هذا الغُرورَ مِقياسًا لمراتبِ النَّاسِ؛ فجَعَلوا أصحابَ الكَمالِ أهلَ المظاهرِ الفاخرةِ، ووَصَموا بالنَّقصِ

أهلَ الخَصاصةِ وضُعفاءَ النَّاسِ؛ فنَبَّهَ اللهُ على خَطأِ اعتقادِهِم بمُناسَبةِ ذِكرِ مُماثِلِه ممَّا اعتَقَدَه الأُمَمُ قبْلَهم الَّذي كان مُوجِبًا صَبَّ العذابِ عليهم، وأعلَمَهم أنَّ أحوالَ الدُّنيا لا تُتَّخَذُ أصلًا في اعتبارِ الجزاءِ على العمَلِ، وأنَّ الجزاءَ المُطَّرِدَ هو جَزاءُ يومِ القيامةِ .

- وجُملتَا فَيَقُولُ في الموضعينِ جَوابانِ لـ(أمَّا) الأُولى والثَّانيةِ، أي: يطَّرِدُ قولُ الإنسانِ هذه المقالةَ كلَّما حَصَلَت له نِعمةٌ، وكلَّما حَصَلَ له تَقتيرُ رِزقٍ؛ فأُوثِرَ الفِعلُ المضارعُ في الجوابينِ؛ لإفادةِ تَكرُّرِ ذلك القولِ وتَجدُّدِه كلَّما حصَلَ مَضمونُ الشَّرطينِ .

- وتَقديمُ رَبِّي على فِعلِ أَكْرَمَنِ وفِعلِ أَهَانَنِ دُونَ أنْ يقولَ: أكرَمَني ربِّي أو أهانَني ربِّي؛ لقصْدِ تَقَوِّي الحُكمِ، أي: يقولُ ذلك جازمًا به غيرَ مُتردِّدٍ .

2- قولُه تعالَى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا

- قولُه: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ كَلَّا زَجْرٌ للإنسانِ عن قولِه: رَبِّي أَكْرَمَنِ عندَ حُصولِ النِّعمةِ، وقولِه: رَبِّي أَهَانَنِ عندَما يَنالُه تَقتيرٌ؛ فهو ردْعٌ عن اعتقادِ ذلك، فمَناطُ الرَّدعِ كِلَا القولَينِ، وهذا ردْعٌ مُجمَلٌ لم يَتعرَّضِ القرآنُ لتَبيينِه؛ اكتفاءً بتَذييلِ أحوالِ الأُمَمِ الثَّلاثِ في نِعمتِهم بقولِه: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر: 14] بعْدَ قولِه: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ [الفجر: 13] .

- و(بَلْ) إضرابٌ انتقاليٌّ، والمناسَبةُ بيْن الغرَضَينِ المُنتقَلِ منه والمُنتقَلِ إليه مُناسبةُ المُقابَلةِ لمَضمونِ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ مِن جِهةِ ما تَوهَّموه أنَّ نِعمةَ مالِهم وسَعةَ عَيشِهم تَكريمٌ مِن اللهِ لهم، فنَبَّهَهم اللهُ على أنَّهم إنْ أكرَمَهُم اللهُ، فإنَّهم لمْ يُكرِموا عَبيدَه شُحًّا بالنِّعمةِ؛ إذ حَرَموا أهلَ الحاجةِ مِن فُضولِ

أموالِهِم، وإذ يَستزيدون مِن المالِ ما لا يَحتاجون إليه، وذلك دحْضٌ لتَفخُّرِهم بالكرَمِ والبذْلِ؛ فجُملةُ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ استئنافٌ كما يَقتضيهُ الإضرابُ، فهو إمَّا استئنافُ ابتداءِ كَلامٍ، وإمَّا اعتراضٌ بيْن كَلَّا وأختِها .

- وفي قوله: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ الْتفاتٌ إلى الخِطابِ؛ للإيذانِ باقتضاءِ مُلاحظةِ جِنايتِه السَّابقةِ لمُشافهتِه بالتَّوبيخِ تَشديدًا للتَّقريعِ، وتَأكيدًا للتَّشنيعِ. والجمْعُ باعتبارِ مَعْنى الإنسانِ؛ إذِ المرادُ هو الجنسُ .

- وتَعريفُ اليَتيمِ هنا للجِنسِ، أي: لا تُكرِمون اليَتامَى، وكذلك تَعريفُ المسكينِ .

- ونفْيُ الحَضِّ على طَعامِ المسكينِ نفْيٌ لإطعامِهِ بطَريقِ الأَوْلى، وهي دَلالةُ فَحوى الخِطابِ ، أي: لقِلَّةِ الاكتراثِ بالمساكينِ لا يَنفَعونهم ولو نفْعَ وَساطةٍ، بلْهَ أنْ يَنفَعوهم بالبَذْلِ مِن أموالِهم .

- وقد حصَلَ في هذِه الآيةِ احتباكٌ ؛ لأنَّهم لَمَّا نُفِيَ إكرامُهم اليتيمَ، وقُوبِلَ بنفْيِ أنْ يَحُضُّوا على طَعامِ المسكينِ؛ عُلِمَ أنَّهم لا يَحُضُّون على إكرامِ أيتامِهِم، أي: لا يَحُضُّون أولياءَ الأيتامِ على ذلك، وعُلِمَ أنَّهم لا يُطعِمونَ المساكينَ مِن أموالِهِم. ويجوزُ أنْ يكونَ الحَضُّ على الطَّعامِ كِنايةً عن الإطعامِ؛ لأنَّ مَن يحُضُّ على فِعلِ شَيءٍ يكونُ راغبًا في التَّلبُّسِ به، فإذا تَمكَّنَ أنْ يَفعَلَه فَعَلَه .

- و(لا تُكرِمون، ولا تَحاضُّون، وتَأكُلون، وتُحبُّون) على الخِطابِ بطَريقةِ الالْتفاتِ مِن الغَيبةِ في قولِه: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ الآياتِ؛ لقصْدِ مُواجهتِهِم بالتَّوبيخِ، وهو بالمُواجَهةِ أوقَعُ منه بالغَيبةِ .

- قولُه: تَحَاضُّونَ أصْلُه: تَتحاضُّون، فحُذِفَت إحْدى التَّاءينِ اختصارًا للتَّخفيفِ .

- والأكلُ: مُعبَّرٌ به عن الانتِفاعِ بالشَّيءِ انتفاعًا لا يُبْقي منه شَيئًا، ولعلَّ هذا التَّعبيرَ مِن مُبتكراتِ القُرآنِ .

- وأشْعَرَ قولُه: وَتَأْكُلُونَ بأنَّ المرادَ التُّراثُ الَّذي لا حقَّ لهم فيه، ومنه يَظهَرُ وجْهُ إيثارِ لَفظِ التُّرَاثَ دونَ أنْ يُقالَ: (وتَأكُلون المالَ)؛ لأنَّ التُّراثَ مالٌ مات صاحبُه، وأكْلُه يَقْتضي أنْ يَستحِقَّ ذلك المالَ عاجزٌ عن الذَّبِّ عن مالِه لصِغَرٍ أو أُنوثةٍ .

- وتَعريفُ التُّرَاثَ عِوَضٌ عن المضافِ إليه، أي: تُراثَ اليَتامَى .

- قولُه: أَكْلًا لَمًّا اللَّمُّ: الجمْعُ، ووَصْفُ الأكلُ به وصْفٌ بالمصدرِ للمُبالَغةِ .

- قولُه: وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا الجَمُّ: الكثيرُ، أي: حُبًّا كَثيرًا، ووَصْفُ الحُبِّ بالكثرةِ مُرادٌ به الشِّدَّةُ؛ لأنَّ الحُبَّ معنًى مِن المعاني النَّفْسيَّةِ لا يُوصَفُ بالكثرةِ الَّتي هي وَفرةُ عدَدِ أفرادِ الجِنسِ، فالجَمُّ مُعبَّرٌ به عن معْنى القَويِّ الشَّديدِ، أي: حُبًّا مُفرِطًا، وذلك مَحلُّ ذمِّ حُبِّ المالِ؛ لأنَّ إفراطَ حُبِّه يُوقِعُ في الحِرصِ على اكتِسابِه بالوَسائلِ غيرِ الحقِّ؛ كالغصْبِ والاختلاسِ، والسَّرقةِ وأكْلِ الأماناتِ .

ثم قال تعالى :

(كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ

ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى ٣٠)

التفسير المأثور

(كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا (٢١)

تفسير

٨٣١٣٦- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله: (إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)، قال: تحريكها(١)٧١٦٧. (١٥/٤٢٢)

٧١٦٧ لم يذكر ابنُ جرير (٢٤/٣٨٣) في معنى: (إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) سوى قول ابن عباس.

٨٣١٣٧- عن الربيع بن أنس، قال: تُحمل الأرض والجبال، فيُدَكُّ بعضُها على بعض(٢). (١٥/٤٢٢)

٨٣١٣٨- عن عمر مولى غُفْرة [عمر بن عبد الله المدني] -من طريق حرملة بن عمران- قال: إذا سمعتّ الله يقول: (كلا) فإنما يقول: كذبتَ(٣). (ز)

٨٣١٣٩- قال مقاتل بن سليمان: (كَلّا) ما يؤمنون بالآخرة، وهو وعيد، (إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) يعني: إذا تُرِكتْ فاستوتْ الجبال مع الأرض الممدودة(٤). (ز)

*****

(وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا (٢٢)

تفسير

٨٣١٤٠- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُوقفون موقفًا واحدًا يوم القيامة مقدار سبعين عامًا، لا يُنظر إليكم، ولا يُقضى بينكم، قد حُصر عليكم، فتَبْكُون حتى ينقطع الدمع، ثم تَدمعون دمًا، وتَبْكُون حتى يبلغ ذلك منكم الأذقان، أو يُلْجِمكم، فتضجّون، ثم تقولون: مَن يشفع لنا إلى ربّنا، فيقضي بيننا؟ فيقولون: مَن أحقّ بذلك مِن أبيكم؟ جبل الله تربته، وخَلَقه بيده، ونفخ فيه مِن روحه، وكلّمه قِبَلًا. فيؤتى آدم ﷺ، فيُطلب ذلك إليه، فيأبى، ثم يَستَقرون الأنبياء نبيًّا نبيًّا، كلما جاءوا نبيًّا أبى». قال رسول الله ﷺ: «حتى يأتوني، فإذا جاءوني خرجتُ حتى آتي الفحص». قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحص؟ قال: «قدام العرش، فأخرّ ساجدًا، فلا أزال ساجدًا حتى يبعث الله إلَيّ مَلَكًا، فيأخذ بعضدي، فيرفعني، ثم يقول الله لي: محمد؟ وهو أعلم، فأقول: نعم. فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا ربّ، وعدتني الشفاعة، شفِّعني في خَلْقك فاقضِ بينهم. فيقول: قد شفّعتُك، أنا آتيكم فأقضي بينكم». قال رسول الله ﷺ: «فأنصرف حتى أقف مع الناس، فبينا نحن وقوف سمعنا حِسًّا مِن السماء شديدًا، فهالنا، فنزل أهلُ السماء الدنيا بمثلَي مَن في الأرض مِن الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافّهم، وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا، وهو آتٍ. ثم ينزلُ أهل السماء الثانية بمثلي مَن نزل مِن الملائكة، وبمثلي مَن فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض

أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافّهم، وقلنا لهم: أفيكم ربّنا؟ قالوا: لا، وهو آتٍ. ثم نزل أهل السموات على قدْر ذلك من الضِّعف، حتى نزل الجبّار في ظُلَلٍ مِن الغمام والملائكة، ولهم زَجَلٌ مِن تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي المُلك والملكوت، سبحان ربِّ العرش ذي الجبروت، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سُبُّوحٌ قُدُّوس ربّ الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبدًا أبدًا. يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والسموات إلى حُجَزهم، والعرش على مناكبهم، فوضع الله عرشه حيث شاء مِن الأرض، ثم ينادي بنداء يُسمع الخلائق، فيقول: يا معشر الجنّ والإنس، إني قد أنصتُّ منذ يوم خلقتُكم إلى يومكم هذا، أسمع كلامكم، وأُبصر أعمالكم، فأنصِتوا إلَيَّ، فإنما هي صحفكم وأعمالكم تُقرأ عليكم، فمَن وجد خيرًا فليحمد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه. ثم يأمر الله جهنم فتخرج منها عُنقًا ساطعًا مُظلمًا، ثم يقول الله: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) إلى قوله: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [يس:٦٠-٦٣]، (وامْتازُوا اليَوْمَ أَيُّها المُجْرِمُونَ) [يس:٥٩]. فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله: (وتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إلى كِتابِها اليَوْمَ) الآية [الجاثية:٢٨]. فيقضي الله بين خَلْقه؛ الجنّ والإنس والبهائم، فإنه ليُقيد يومئذ للجمّاء من ذات القرون، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله: كونوا ترابًا. فعند ذلك يقول الكافر: (يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا) [النبأ:٤٠]. ثم يقضي الله سبحانه بين الجنّ والإنس»(١). (ز)

أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال ص١١٨-١٢٣ (١٥٥) بنحوه، والطبراني في الأحاديث الطوال ص٢٦٦-٢٦٨ (٣٦)، والبيهقي في البعث والنشور ص٣٣٦-٣٤٤ (٦٠٩) كلاهما مطولًا، وابن جرير ٣/٦١١-٦١٤، ٢٤/٣٨٦-٣٨٩، من طريق إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة به، على اختلاف يسير في إسناده عندهم.

إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه جهالة محمد بن يزيد بن أبي زياد، وجهالة الراوي عن محمد بن كعب القُرَظيّ، وجهالة شيخه، وفيه إسماعيل بن رافع المدني، قال عنه ابن حجر في التقريب (٤٤٢): «ضعيف الحفظ».

٨٣١٤١- عن عبد الله بن عباس -من طريق شَهْر بن حَوْشَب- أنه قال: إذا كان يوم القيامة مُدّت الأرض مَدّ الأديم، وزِيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد؛ جِنّهم وإنسِهم، فإذا كان ذلك اليوم قِيضتْ (قيضت: شُقّت) هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض، ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جِنّهم وإنسِهم بضعْفٍ، فإذا نُثِروا على وجه الأرض فزعوا منهم، فيقولون: أفيكم ربّنا؟ فيَفزعون مِن قولهم، ويقولون: سبحان ربّنا، ليس فينا، وهو آتٍ. ثم تُقاض السماء الثانية، ولَأهل السماء الثانية وحدهم أكثر مِن أهل السماء الدنيا ومِن جميع أهل الأرض بضعْف جِنّهم وإنسِهم، فإذا نُثِروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون: أفيكم ربّنا؟ فيَفزعون من قولهم، ويقولون: سبحان ربّنا، ليس

فينا، وهو آتٍ. ثم تُقاض السموات سماء سماء، كلما قِيضتْ سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التي تحتها ومن جميع أهل الأرض بضعْفٍ، فإذا نُثِروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك، حتى تُقاض السماء السابعة، فلَأهل السماء السابعة أكثر من أهل ست سموات ومِن جميع أهل الأرض بضعْفٍ، فيجيء الله فيهم، والأمم جُثًا صفوف، وينادي منادٍ: ستعلمون اليوم مَن أصحاب الكرم، لِيَقُم الحَمَّادون لله على كل حال. قال: فيقومون، فيَسْرَحون إلى الجنة؛ ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم مَن أصحاب الكرم، أين الذين كانت (تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وطَمَعًا ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) [السجدة:١٦]؟ فيقومون، فيَسْرَحون إلى الجنة؛ ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم مَن أصحاب الكرم، أين الذين (لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصارُ) [النور:٣٧]؟ فيقومون، فيَسْرَحون إلى الجنة، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُنقٌ من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان تُبصِران، ولسان فصيح، فيقول: إنّي وُكِّلتُ منكم بثلاثة: بكلّ جبّار عنيد. فيَلْقُطُهم من الصفوف لَقْط الطير حبَّ السِّمْسم، فيُحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثانية، فيقول: إني وُكِّلتُ منكم بمن آذى الله ورسوله. فيَلْقُطُهم لَقْط الطير حبَّ السِّمْسم، فيُحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثالثة، قال عوف، قال أبو المنهال: حسبتُ أنه يقول: وُكِّلتُ بأصحاب التصاوير. فيَلتقطهم من الصفوف لَقْط الطير حبَّ السِّمْسم، فيُحبس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة ومن هؤلاء ثلاثة نُشرت الصحف، ووُضعت الموازين، ودُعي الخلائق للحساب(٣). (ز)

٨٣١٤٢- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق الأجلح- قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل مَن فيها من الملائكة، وأحاطوا بالأرض ومَن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفُّوا صفًّا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مُجَنَّبَته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قُطرًا مِن أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف مِن الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: (إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عاصِمٍ) [غافر:٣٢-٣٣]، وذلك قوله: (وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، وقوله: (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِن أقْطارِ السَّماواتِ والأَرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلّا بِسُلْطانٍ) [الرحمن:٣٣]، وذلك قول الله: (وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ والمَلَكُ عَلى أرْجائِها) [الحاقة:١٦-١٧](٤). (ز)

٨٣١٤٣- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، في قوله: (والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)، قال: جاء أهل السماوات كلّ سماء صفًّا(٥). (١٥/٤٢٢)

٨٣١٤٤- عن شَهْر بن حَوْشَب -من طريق ليث- قال: إذا كان يوم القيامة مُدّت الأرض مَدّ الأديم العكاظيّ، ثم يَحشر الله فيها الخلائق مِن الجنّ والإنس، ثم أخذوا مصافّهم مِن الأرض، ثم ينزل أهل السماء الدنيا بمثل مَن في الأرض، وبمثلهم معهم مِن الجن والإنس، حتى إذا كانوا على رؤوس الخلائق أضاءت الأرضُ لوجوههم، وخرّ أهل الأرض ساجدين، وقالوا: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: ليس فينا، وهو آتٍ. ثم أخذوا مصافّهم مِن

الأرض، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل مَن في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم، وخرّ أهل الأرض ساجدين، وقالوا: أفيكم ربّنا؟ قالوا: ليس فينا، وهو آتٍ. ثم أخذوا مصافّهم من الأرض، ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل مَن في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرضُ لِوجوههم، وخرّ أهل الأرض ساجدين، وقالوا: أفيكم ربّنا؟ قالوا: ليس فينا، وهو آتٍ. وينزل أهل السماء الرابعة على قدْرهم من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء الخامسة على قدْر ذلك مِن التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السادسة على قدْر ذلك مِن التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السابعة على قدْر ذلك مِن التضعيف، حتى ينزل الجبّار -تبارك وتعالى- قال: (ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) [الحاقة:١٧]. تحمله الملائكة على كواهلها بأيدٍ وقوة وحُسنٍ وجمال، حتى إذا جلس على كرسيّه ونادى بصوته: (لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ)؟ فلا يجيبه أحد، فيردُّ على نفسه: (لِلَّهِ الواحِدِ القَهّارِ اليَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ) [غافر:١٦-١٧](٦). (ز)

٨٣١٤٥- قال عطاء: (وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) يريد: صفوف الملائكة، وأهل كلّ سماء صفٌّ على حِدة(٧). (ز) تفسير البغوي ٨/٤٢٢

٨٣١٤٦- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)، قال: صفوف الملائكة(٨). (١٥/٤٢٢)

٨٣١٤٧- قال إسماعيل السُّدِّيّ: (وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)، يعني: صفوف الملائكة، كلّ أهل سماء على حِدة(٩). (ز)

٨٣١٤٨- قال محمد بن السّائِب الكلبي: (وجاءَ رَبُّكَ) ينزل(١٠). (ز) تفسير البغوي ٨/٤٢٢

٨٣١٤٩- قال مقاتل بن سليمان: (وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) وذلك أنه تنشقّ السموات والأرض، فتنزل ملائكة كلّ سماء، وتقوم ملائكة كلّ سماء على حِدة، فيجيء الله -تبارك وتعالى- كما قال: (هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) [الأنعام:١٥٨]، وكما قال: (هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا أنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائِكَةُ) [البقرة:٢١٠] قيامًا صفوفًا(١١). (ز)

*****

(وَجِاْىٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ) (٢٣)

(وَجِاْىٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ)

__تفسير__

٨٣١٥٠- عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ما تفسير هذه الآية: (كَلّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)؟». قال: «إذا كان يوم القيامة تُقاد جهنم بسبعين ألف زمام، بيد سبعين ألف مَلَك، فتشرد شردة لولا أنّ الله حبسها لأحرقت السماوات والأرض»(١). (١٥/٤٢٣) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

٨٣١٥١- عن أبي سعيد، قال: لما نزلت هذه الآية تغيّر رسولُ الله ﷺ، وعُرِف في وجهه، حتى اشتدّ على أصحابه ما رأَوا مِن حاله، فسأله عليٌّ، فقال: «جاء جبريل، فأقرأني هذه الآية: (كَلّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)». فقيل: وكيف يُجاء بها؟ قال: «يجيء بها سبعون ألف مَلَك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تُرِكتْ لأحرقتْ أهل الجمع»(٢)٧١٦٨. (١٥/٤٢٢)

أخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف ٤/٢٠٦-٢٠٧-، والثعلبي ١٠/٢٠١-٢٠٢، من طريق يعقوب بن يوسف القزويني، ثنا القاسم بن الحكم، ثنا عبيد الله بن الوليد، ثنا عطية، عن أبي سعيد به.

إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه القاسم بن الحكم العُرني، قال عنه ابن حجر في التقريب (٥٤٥٥): «صدوق، فيه لين». وعبيد الله بن الوليد الوصافي، قال عنه ابن حجر في التقريب (٤٣٥٠): «ضعيف». وفيه عطية بن سعد العَوفيّ، قال عنه الذهبي في المغني ٢/٤٣٦: «مُجمَعٌ على ضعفه». ثم هو مع ضعفه كان يُدلّس تدليسًا قبيحًا عن محمد بن السّائِب الكلبي الكذاب! فيروي عنه ويقول: «قال أبو سعيد». ليوهم أنه أبو سعيد الخدري، كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/٢٠١.

٧١٦٨ قال ابنُ عطية (٨/٦١٤): «ورُوي أنه لما نزلت: (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) تغيّر لون النبي ﷺ».

٨٣١٥٢- عن زيد بن أسلم، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فناجاه، ثم قام النبي ﷺ مُنكسر الطرف، فسأله عليٌّ، فقال: «أتاني جبريل، فقال

لي: (كَلّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، وجيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام، كلّ زمام يقوده سبعون ألف مَلَك، فبينما هم كذلك إذ شردتْ عليهم شردةً انفلتتْ مِن أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقتْ مَن في الجمع، فأخذوها»(٣). (١٥/٤٢٣)

عزاه السيوطي إلى ابن وهب في كتاب الأهوال

٨٣١٥٣- عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف مَلَك يَجُرُّونها»(٤). (١٥/٤٢٣)

أخرجه مسلم ٤/٢١٨٤ (٢٨٤٢) واللفظ له، وابن جرير ٢٤/٣٨٩

٨٣١٥٤- عن أُبيّ بن كعب -من طريق أبي العالية- قال: يجيء الرّبّ يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة -وهم الكروبيون (الكروبيون: هم المقربون.) -، لا يعلم عددهم إلا الله، فيؤتى بالجنة مُفتّحة أبوابها، يراها كلُّ بَرٍّ وفاجر، عليها ملائكة الرحمة، حتى تُوضَع عن يمين العرش، فيوجد رِيحُها مِن مسيرة خمسمائة عام. قال: ويؤتى بالنار تُقاد بسبعين ألف زمام، يقود كلُّ زِمام سبعون ألف مَلَك، مُصفّدة أبوابها، عليها ملائكة سُود، معهم السلاسل الطوال، والأنكال الثقال، وسرابيل القَطِران، ومُقطَّعات النيران، لِأعينِهم لمعٌ كالبرْق، ولِوجوههم لهبٌ كالنار، شاخصة أبصارهم، لا ينظرون إلى ذي العرش تعظيمًا له، فإذا أُدنيت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة عام زَفرتْ زفرة، لم يبقَ أحدٌ إلا جثا على رُكبتيه، وأخذتْه الرعدة، وصار قلبه مُعلّقًا في حنجرته، فلا يخرج

ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله: (إِذِ القُلُوبُ لَدى الحَناجِرِ كاظِمِينَ) [غافر:١٨]. فينادي إبراهيم: ربِّ، لا تهلكني بخطيئتي. وينادي نوح ويونس، وتوضع النار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبّار -تبارك وتعالى-، ثم يدعى الخلائق للحساب(٦). (ز)
أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/١٣١-١٣٢-.

٨٣١٥٥- عن عبد الله بن مسعود -من طريق شقيق بن سلمة- في قوله: (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، قال: جيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف مَلَك يقودونها(٧). (١٥/٤٢٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٥١، والترمذي (٢٥٧٣)، وابن جرير ٢٤/٣٨٩، وابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/٤٣٨ (١٧٤). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد

٨٣١٥٦- عن أبي وائل شقيق بن سلمة -من طريق رجل- في قوله تعالى: (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، قال: جيء بها مزمومة(٨). (ز)

٨٣١٥٧- عن أبي وائل شقيق بن سلمة -من طريق عاصم بن بهدلة- (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، قال: يُجاء بها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف مَلَك(٩). (ز) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار -موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/٤٣٠ (١٤٣)-، وابن جرير ٢٤/٣٨٩

٨٣١٥٨- عن قتادة بن دعامة -من طريق عمرو بن قيس- قال: جَنبَتَيْه الجنة والنار. قال: هذا حين ينزل مِن عرشه إلى كرسيه لحساب خَلْقه. وقرأ: (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)(١٠). (ز)

٨٣١٥٩- عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)، قال: جيء بها مزمومة(١١). (ز)

٨٣١٦٠- قال مقاتل بن سليمان: (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) يُجاء بها مِن مسيرة خمسمائة عام، عليها سبعون ألف زمام، على كلِّ زِمام سبعون ألف مَلَك، مُتعلِّقون بها، يحبسونها عن الخلائق، وجوههم مثل الجمْر، وأعينهم مثل البرق، فإذا تَكلّم أحدُهم تناثرتْ مِن فِيه النار، بيد كلِّ مَلَك منهم مرزبة، عليها ألفان وسبعون رأسًا كأمثال الجبال، وهي أخفّ في يده مِن الريش، ولها سبعة رؤوس كرؤوس الأفاعي، وأعينهم زُرْقٌ، تنظر إلى الخلائق، مِن شدة الغضب تريد أن تنفلتَ على الخلائق مِن غضب الله □، ويُجاء بها حتى تقام على ساق العرش(١٢). (ز)

(يَوْمَئِذٍ□ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ (٢٣)

تفسير

٨٣١٦١- عن عبد الله بن عباس -من طريق علي- في قوله: (وأَنّى لَهُ الذِّكْرى)، يقول: وكيف له؟!(١٣). (١٥/٤٢٤)

٨٣١٦٢- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر- في قوله: (يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ)، قال: يريد التوبة(١٤). (١٥/٤٢٤)

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/٢٢١ (٢٠٦)-. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم

٨٣١٦٣- قال مقاتل بن سليمان: (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ) يعني: أُميّة بن خلف الجُمحي إذا عاين النار والملائكة، (وأَنّى لَهُ الذِّكْرى) يعني: ومِن أين له التذكرة في الآخرة وقد كفر بها في الدنيا؟!(١٥). (ز)

*****

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى (٢٤)

تفسير

٨٣١٦٤- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي)، قال: الآخرة(١). (١٥/٤٢٤)

٨٣١٦٥- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر- في قوله: (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي)، يقول: عملتُ في الدنيا لحياتي في الآخرة(٢). (١٥/٤٢٤)

أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/٤٣٠ (١٤٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

٨٣١٦٦- عن الحسن البصري -من طريق عوف- في قوله: (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ وأَنّى لَهُ الذِّكْرى يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي)، قال: علم الله أنّه صادق، هناك حياة طويلة لا موت فيها آخرَ ما عليه(٣). (١٥/٤٢٤)

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/٣٩٠ (٣٦٤٣٤)، ١٩/٣٩٦ (٣٦٤٥٧)، وابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/٤٣٠ (١٤٤)، وفي كتاب الأشراف -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/٣٢١

٨٣١٦٧- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- قوله: (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي): هناكم -واللهِ- الحياةُ الطويلة(٤). (ز)

٨٣١٦٨- قال مقاتل بن سليمان: ثم قال يُخبر عن حالهم، وما يقولون في الآخرة إذا عاينوا النار: (يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي) في الدنيا لآخرتي(٥)٧١٦٩. (ز)

٧١٦٩ نقل ابنُ عطية (٥/٤٨١ ط: دار الكتب العلمية) أقوالًا أخرى في معنى الآية، وعلَّق على بعضها، فقال: «وقال قوم من المتأولين: المعنى: لِحَياتِي في قبري عند بعْثي الذي كنت أُكَذِّب به وأعتقد أني لن أعود حيًّا. وقال آخرون: (لِحَياتِي) هنا مجازًا، أي: لَيْتَنِي قَدَّمْتُ عملًا صالحًا لأنعم به اليوم وأحيا حياةً طيّبة. فهذا كما يقول الإنسان: أحيني في هذا الأمر. وقال بعض المتأولين: المعنى: لوقت أو لمدة حياتي الماضية في الدنيا، وهذا كما تقول: جئت لطلوع الشمس ولتاريخ كذا ونحوه».

آثار متعلقة بالآية

٨٣١٦٩- عن محمد بن أبي عميرة -وكان من أصحاب النبي ﷺ- قال: لو أنّ عبدًا جُرّ على وجهه مِن يوم وُلد إلى أن يموت هَرِمًا في طاعة الله لحقَره يوم القيامة، ولَوَدَّ أنه رُدّ إلى الدنيا كيما يزداد مِن الأجر والثواب(٦). (١٥/٤٢٥) أخرجه أحمد ٢٩/١٩٧ (١٧٦٥٠) بنحوه.

*****

(فَيَوْمَئِذ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَد (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَد (٢٦)

قراءات

٨٣١٧٠- عن زيد بن ثابت، أنّ النبي ﷺ قرأ: ‹فَيَوْمَئِذٍ لّا يُعَذَّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ* ولا يُوثَقُ وثاقَهُ أَحَدٌ›(١). (١٥/٤٢٥)

أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٣٦٢.

قال أبو نعيم: «غريب من حديث عمر، لم نكتبه إلا من هذا الوجه».

وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب، والكسائي، وقرأ بقية العشرة (لّا يُعَذِّبُ)، و(ولا يُوثِقُ) بكسر الذال، والثاء. انظر: النشر ٢/٤٠٠، والإتحاف ص٥٨٤

٨٣١٧١- عن أبي قلابة، عمَّن أقرأه النبيُّ ﷺ، وفي رواية: عن مالك بن الحُويرث، أنّ النبي ﷺ أقرأه -وفي لفظ: أقرأ إياه-: ‹فَيَوْمَئِذٍ لّا يُعَذَّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ * ولا يُوثَقُ وثاقَهُ أَحَدٌ› منصوبة الذال والثاء(٢)٧١٧٠. (١٥/٤٢٥)

أخرجه أحمد ٣٤/٢٩٢ (٢٠٦٩١)، وأبو داود ٦/١١٩-١٢٠ (٣٩٩٦، ٣٩٩٧)، والحاكم ٢/٢٨٠ (٣٠٠٩)، وابن جرير ٢٤/٣٩١-٣٩٢، والثعلبي ١٠/٢٠٢ من حديث أبي قلابة عمن أقرأه النبي ﷺ. وأخرجه الحاكم ٣/٧٢٧ (٦٦٣٥) من حديث مالك بن الحُويرث.

قال الحاكم في الموضع الأول: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، والصحابي الذي لم يُسمّه في إسناده قد سمّاه غيره: مالك بن الحُويرث».

وذكر الدارقطني في العلل ١٤/٦٦ (٣٤٢٤) الاختلاف في إسناده، ورجّح

أنه من رواية أبي قلابة عمّن أقرأه. وقال ابن منده في معرفة الصحابة ص٤٢٢: «رواه غير واحد عن خالد، عن أبي قلابة، عمن سمع النبي ﷺ يقرأ، وهو الصواب». وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/٨١٩ (٢١٤٨): «رواه غير واحد، عن خالد، عن أبي قلابة، عمن سمع النبي ﷺ، ولم يذكر مالك بن الحُويرث ولا أباه، وهو المشهور».

٧١٧٠ اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ ولا يُوثِقُ وثاقَهُ أَحَدٌ) على قراءتين: الأولى: (يُعذِّب – يُوثِق) بكسر الذال والثاء. الثانية: ‹يُعذَّبُ – يُوثَقُ› بفتح الذال والثاء.

ووجَّه ابنُ جرير (٢٤/٣٩٣) المعنى على القراءة الثانية بقوله: «وأمّا الذي قرأ ذلك بالفتح فإنه وجَّه تأويله إلى: فيومئذٍ لا يعذَّبُ أحدٌ في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثقُ أحدٌ في الدنيا كوثاقه يومئذ. وقد تأوَّل ذلك بعض مَن قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين: فيومئذ لا يعذَّبُ عذابَ الكافر أحدٌ، ولا يوثَقُ وثاقَ الكافرِ أحدٌ. وقال: كيف يجوز الكسر، ولا معذِّب يومئذ سوى الله؟!».

ووجَّه ابنُ عطية (٥/٤٨١ ط: دار الكتب العلمية) القراءة الأولى بقوله: «وعلى هذه القراءة، فالضمير عائد في (عَذابَهُ) و(وثاقَهُ) لله تعالى، والمصدر مضاف إلى الفاعل، ولذلك معنيان: أحدهما: أنّ الله تعالى لا يَكِل عذاب الكفار يومئذ إلى أحد. والآخر: أنّ عذابه مِن الشدة في حيِّز لم يعذَّب قطُّ أحدٌ بمثله في الدنيا، ويحتمل أن يكون الضمير للكافر والمصدر مضاف إلى المفعول». ووجَّه القراءة الثانية بقوله: «فالضميران -على

هذا- للكافر الذي هو بمنزلة جنسه كلّه، والمصدر مضاف إلى المفعول، ووضع» عذاب «موضع» تعذيب «... ويحتمل أن يكون الضميران في هذه القراءة لله تعالى، كأنه قال: لا يعذِّب أحدٌ قطُّ في الدنيا عذاب الله للكفار، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، وفي هذا التأويل تحامل».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٩٢) القراءة الأولى مستندًا إلى إجماع الحجّة مِن القرأة عليها، وأشار (٢٤/٣٩١) إلى أنّ القراءة الثانية واهية الإسناد، ثم انتقدها -مستندًا إلى أقوال السلف- قائلًا: «وهذا من التأويل غلطٌ؛ لأنّ أهل التأويل تأوَّلوه بخلاف ذلك، مع إجماع الحجّة من القرأة على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل، وما أحسَبُه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك إلا ذهابُه عن وجْهِ صحته في التأويل».

<u>تفسير الآية</u>

٨٣١٧٢- عن عبد الله بن عباس، في قوله: (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ) الآية، قال: لا يُعذّب بعذاب الله أحد، ولا يوثق بوثاق الله أحد(٣). (١٥/٤٢٥)

٨٣١٧٣- عن الحسن البصري -من طريق معمر- (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ ولا يُوثِقُ وثاقَهُ أَحَدٌ)، قال: قد علِم اللهُ أنّ في الدنيا عذابًا ووثاقًا، فقال: فيومئذ لا يُعَذِّب عذابَه أحد في الدنيا، ولا يُوثق وثاقه أحد في الدنيا(٤). (ز)

٨٣١٧٤- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- قوله: (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ ولا يُوثِقُ وثاقَهُ أَحَدٌ): لا يُعذّب عذاب الله أحد، ولا يُوثق وثاق الله أحد(٥). (ز)

٨٣١٧٥- قال مقاتل بن سليمان: (فَيَوْمَئِذٍ لّا يُعَذِّبُ عَذابَهُ) أي: لا يُعذّب كعذاب الله (أَحَدٌ) يعني: ليس أعظم مِن الله تعالى؛ سلطانه على قدْر عظمته، وعذابه مثل سلطانه، (ولا يُوثِقُ وثاقَهُ أَحَدٌ) يعني: ولا يُوثق كوثاق الله أحد(٦). (ز)

*****

(يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)

قراءات

٨٣١٧٦- عن أبي شيخ الهُنائين، قال: في قراءة أُبَيٍّ [بن كعب]: (يَآ أَيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ المُطْمَئِنَّةُ)، وقال الكلبي: إنّ الآمنة في هذا الموضع يعني به: المؤمنة(١). (١٥/٤٢٨) أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٩٥.

وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر ابن خالويه ص١٧٤.

نزول الآية، وتفسيرها

٨٣١٧٧- عن أبي بكر الصديق -من طريق سليم بن أبي عامر- قال: قرأتُ عند رسول الله ﷺ هذه الآية: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً)، فقلتُ: ما أحسن هذا، يا رسول الله! فقال: «يا أبا بكر، أما إنّ المَلَك سيقولها لك عند الموت»(٢). (١٥/٤٢٧)

أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١/١٠٩-١١٠

٨٣١٧٨- عن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد بن جُبَير- في قوله: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال: المؤمنة، (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) يقول: إلى جسدك. قال: نزلت هذه الآية وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذا! فقال: «أما إنّه سيُقال لك هذا»(٣). (١٥/٤٢٦)

أخرجه الضياء في المختارة ١٠/١٢٤-١٢٥ (١٢٤)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٤٠٠-٤٠١-، من طريق أبي سعيد أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكي، قال: حدثني أبي [عبد الرحمن بن عبد الله]، ثنا أبي [عبد الله بن سعد]، عن أبيه [سعد بن عثمان]، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس به.
إسناده ضعيف؛ عبد الله بن سعد الدشتكي، وأبوه سعد بن عثمان: مجهولان. تنظر ترجمتهما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٣١٥، ٥/٢٠٦.

٨٣١٧٩- عن سعيد بن جُبَير، قال: قُرِئتْ عند النبي ﷺ: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً)، فقال أبو بكر: إنّ هذا لَحَسن! فقال رسول الله ﷺ: «أما إنّ المَلَك سيقولها لك عند الموت»(٤). (١٥/٤٢٦)
أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٩٦، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٤٢٣-، وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٨٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن مردويه مرسلًا.

٨٣١٨٠- عن عبد الله بن عباس، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن يشتري بئر رُومة نَستَعذِب بها، غَفر الله له». فاشتراها عثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل لك أن تجعلها سقاية للناس!». قال: نعم. فأنزل الله في عثمان بن عفان: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الآية(٥). (١٥/٤٢٧)

عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، من طريق جويبر، عن الضَّحّاك، عن ابن عباس به.

إسناده ضعيف جدًّا. وينظر: مقدمة الموسوعة

٨٣١٨١- عن عبد الله بن عباس، في قوله: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: نزلت في عثمان بن عفان(٦). (١٥/٤٢٧)

٨٣١٨٢- عن ابن بُرَيْدة -من طريق صالح بن حيّان- في هذه الآية: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: نفس حمزة بن عبد المطّلب نزلت فيه يوم استُشهد يوم أُحُد، ثم لم تزل نفسه عند ربّ العالمين في أجواف طير خضر، مكرّمة مشرّفة على مَن عنده، حتّى يردها الله إلى حمزة في دَعَة وسكون وكرامة(٧). (ز)

٨٣١٨٣- قال مقاتل بن سليمان: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) نزلت هذه الآية في خُبيب بن عدي الذي صلبه أهلُ مكة، وجعلوا وجهه نحو المدينة، فقال: اللهم، إن كان لي عندك خير فحَوِّل وجهي نحو قِبلتها. فحَوَّل الله وجهه نحو هذه القِبلة مِن غير أن يُحوّله أحد، فلم يستطع أن يُحوّله عنها أحد(٨). (ز)

٨٣١٨٤- عن بُرَيْدة بن الحصيب الأسلمي، في قوله: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: يعني: نفس حمزة(٩). (١٥/٤٢٧)

٨٣١٨٥- عن عبد الله بن عباس، (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم(١٠). (١٥/٤٢٧)

٨٣١٨٦- عن عبد الله بن عباس-من طريق علي- (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: المُصدِّقة(١١). (١٥/٤٢٧)

٨٣١٨٧- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: المُخبِتة إلى الله(١٢). (١٥/٤٢٩)

٨٣١٨٨- عن مجاهد بن جبر -من طريق منصور- في قوله: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: التي أيقنتْ بأنّ الله ربها، وضربتْ لأمر الله جأشًا (أي: قرّت يقينًا واطمأنت. تهذيب اللغة (جشو).(١٤). (١٥/٤٢٨)

٨٣١٨٩- عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: (يأيتها النفس المطمئنة)، قال: الراضية بقضاء الله الذي قدّر الله، فعلمتْ أنّ ما أصابها لم يكن ليُخطئها، وأنّ ما أخطأها لم يكن ليُصيبها(١٥). (ز)

أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/٤٨٧

٨٣١٩٠- عن الحسن البصري، في قوله: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الآية، قال: إنّ الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفسُ إلى الله، واطمأنّ اللهُ إليها، ورضيتْ عن الله، وأمر بقبْضها فأدخلها الجنة، وجعلها مِن عباده الصالحين(١٦). (١٥/٤٢٩)

علقه البخاري في صحيحه ٦/١٦٩. ووصله ابن أبي حاتم -كما في تغليق التعليق ٤/٣٦٧، وفتح الباري ٨/٧٠٣-.

٨٣١٩١- عن الحسن البصري= (ز)

٨٣١٩٢- وقتادة بن دعامة -من طريق معمر- (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قالا: المُطمئنّة إلى ما قال الله، والمُصدِّقة بما قال الله(١٧). (١٥/٤٣٠)

٨٣١٩٣- قال عطية العَوفيّ: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الراضية بقضاء الله تعالى(١٨). (ز) تفسير الثعلبي ١٠/٢٠٢، وتفسير البغوي ٨/٤٢٣.

٨٣١٩٤- عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: إنّ المؤمن إذا مات رأى منزله من الجنة، فيقول تبارك وتعالى: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) عندي، (ارْجِعِي) إلى جسدكِ الذي خرجتِ منه (راضِيَةً) ما رأيتِ مِن ثوابي، مرضيًّا عنكِ، حتى يسألكِ منكر ونكير(١٩). (١٥/٤٣٠)

٨٣١٩٥- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، قال: هذا المؤمن، اطمأنّ إلى ما وعد الله(٢٠). (١٥/٤٣٠)

٨٣١٩٦- عن زيد بن أسلم -من طريق أسامة بن زيد- (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الآية، قال: بُشِّرتْ بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع(٢١). (١٥/٤٣٠)

٨٣١٩٧- قال المسيّب: سمعت الكلبي= (ز)

٨٣١٩٨- وأبا روق يقولان: هي التي يُبَيِّض اللهُ وجهها، ويعطيها كتابها بيمينها، فعند ذلك تطمئن(٢٢). (ز)

٨٣١٩٩- عن محمد بن السّائِب الكلبي -من طريق حيّان-: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الآمنة مِن عذاب الله تعالى(٢٣). (ز) تفسير الثعلبي ١٠/٢٠٣، وتفسير البغوي ٨/٤٢٣.

٨٣٢٠٠- قال مقاتل بن سليمان: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ)، يعني: المطمئنة بالإيمان(٢٤). (ز)

(ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ) - تفسير

٨٣٢٠١- عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية العَوفيّ- في قوله: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ)، قال: تُردّ الأرواح يوم القيامة في الأجساد(٢٥). (١٥/٤٢٨)

٨٣٢٠٢- عن سعيد بن جُبَير، قال: يسيل وادٍ مِن أصل العرش، فتَنبتُ فيه كلُّ دابةٍ على وجه الأرض، ثم تطير الأرواح، فتؤمر أن تدخل الأجساد، فهو قوله: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً)(٢٦). (١٥/٤٢٨)

٨٣٢٠٣- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ)، قال: إلى جسدكِ(٢٧). (١٥/٤٣٠)

٨٣٢٠٤- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- يقول في قوله: (فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي): يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد، فيأتون الله كما خلقهم أول مرة(٢٨). (ز)

٨٣٢٠٥- عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس -من طريق سليمان التيميّ- (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً): إلى الجسد(٢٩). (ز)

٨٣٢٠٦- قال الحسن البصري: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) ارجعي إلى ثواب ربّكِ وكرامته(٣٠). (ز)

تفسير الثعلبي ١٠/٢٠٤، وتفسير البغوي ٨/٤٢٤.

٨٣٢٠٧- عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: (ارْجِعِي) إلى جسدكِ الذي خرجتِ منه(٣١). (١٥/٤٣٠)

٨٣٢٠٨- عن أبي صالح باذام -من طريق إسماعيل بن أبي خالد- في قوله: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) قال: هذا عند الموت، رجوعها إلى ربّها خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: (فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي)(٣٢)٧١٧١. (١٥/٤٢٩)

٧١٧١ اختُلف في معنى: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) في هذه الآية على أقوال:

الأول: ارجعي إلى ربّكِ عند الموت في الدنيا.

الثاني: ارجعي إلى جسدكِ عند البعث يوم القيامة، والرّبّ هنا: صاحبها.

الثالث: ارجعي إلى ثواب ربّكِ في الآخرة.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٣٩٧-٣٩٨) القول الثاني مستندًا إلى السياق، وهو قول ابن عباس، والضَّحّاك، ومحمد بن كعب، وعلَّل ذلك بقوله: «لدلالة قوله: (فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي) على صحة ذلك، وأنّ دخولها الجنة إنما هو يومئذٍ لا قبل ذلك».

ونقل ابنُ عطية (٨/٦١٦) قولين آخرين، ووجَّههما، فقال: «قال بعض العلماء: هذا النداء هو الآن للمؤمنين، كما ذكر الله تعالى حال الكافرين، قال: يا مؤمنون، دُوموا وجِدُّوا حتى ترجعوا راضين مَرْضِيِّين، فالنفس -على هذا- اسم الجنس... وقال آخرون: هذا النداء إنما هو في الموقف عندما يُنطَلَق بأهل النار إلى النار، فنداءُ النفوس -على هذا- إنما هو نداء أرباب النفوس مع النفوس، ومعنى (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) -على هذا-: إلى رحمة ربك».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/٣٠٠) مستندًا إلى الدلالة العقلية «أنّ هذا القول يُقال لها عند الخروج من الدنيا، ويوم القيامة. فإنّ أول بعثها عند مفارقتها الدنيا، وحينئذٍ فهي في الرفيق الأعلى إن كانت مطمئنة إلى الله وفي جنته كما دلّتْ عليه الأحاديث الصحيحة، فإذا كان يوم القيامة قيل لها ذلك، وحينئذ فيكون تمام الرجوع إلى الله، ودخول الجنة، فأول ذلك عند الموت، وتمامه ونهايته يوم القيامة، فلا اختلاف في الحقيقة».

ورجَّح ابنُ كثير (١٤/٣٥٠) القول الأول مستندًا إلى النظائر، وانتقد ترجيح ابن جرير قائلًا: «واختاره -أي: القول الثاني- ابن جرير، وهو غريب، والظاهر الأول؛ لقوله: (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) [الأنعام:٦٢]، (وأن مردنا إلى الله) [غافر:٤٣] أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه».

(رَاضِيَة مَّرْضِيَّة (٢٨)) - تفسير

٨٣٢٠٩- عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً) قال: بما أُعطيتْ مِن الثواب، (مَرْضِيَّةً) عنها بعملها(٣٣). (١٥/٤٢٩)

٨٣٢١٠- قال الحسن البصري: (راضِيَةً) عن الله بما أعدّ لك، (مَرْضِيَّةً) رضي عنكِ ربّكِ(٣٤). (ز) تفسير البغوي ٨/٤٢٤

٨٣٢١١- عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: (راضِيَةً) ما رأيتِ من ثوابي، مرضيًّا عنكِ؛ حتى يسألكِ منكر ونكير(٣٥). (١٥/٤٣٠)

٨٣٢١٢- قال مقاتل بن سليمان: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً) لعملك، (مَرْضِيَّةً) بما أعطاكِ الله مِن الخير والجزاء(٣٦). (ز)

*****

(فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى (٣٠)

قراءات

٨٣٢١٣- عن أبي شيخ الهنائي، قال: في قراءة أُبَيٍّ [بن كعب]: (فادْخُلِي فِي عَبْدِي)(١). (١٥/٤٢٨)

أخرجه ابن جرير ٢٤/٣٩٩.

وهي قراءة شاذة، تروى أيضًا عن ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، وغيرهم. انظر: المحتسب ٢/٣٦٠، ومختصر ابن خالويه ص١٧٤.

٨٣٢١٤- عن عبد الله بن عباس -من طريق سليمان بن قتّة- أنه قرأها: (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) على التوحيد(٢)٧١٧٢. (١٥/٤٢٨)

٧١٧٢ اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) على قراءتين:

الأولى: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) بإثبات الألف.

الثانية: (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) بحذف الألف.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/٦١٦) القراءة الثانية بقوله: «فالنفس -على هذا- ليست باسم الجنس، وإنما خاطب مفردة». ثم علَّق عليها بقوله: «وتحتمل قراءة (عَبْدِي) أن يكون»العبد«اسم جنس، جعل عباده كالشيء الواحد دلالة على الالتحام، كما قال عليه الصلاة والسلام: «وهم يدٌ على مَن سواهم»».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/٤٠٠) القراءة الأولى مستندًا إلى إجماع الحجّة مِن القرأة عليها.

تفسير الآية

٨٣٢١٥- عن عبد الله بن عباس، في قوله: (فادْخُلِي فِي عِبادِي): المؤمنين(٣). (١٥/٤٢٩)

٨٣٢١٦- عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق محمد بن مزاحم- (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال: في طاعتي، (وادْخُلِي جَنَّتِي) قال: في رحمتي(٤). (ز)

٨٣٢١٧- عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال: ادخلي في الصالحين، (وادْخُلِي جَنَّتِي)(٥). (١٥/٤٣٠)

٨٣٢١٨- عن إسماعيل السُّدِّيّ، (فادْخُلِي فِي عِبادِي)، قال: مع عبادي(٦). (١٥/٤٣٠)

٨٣٢١٩- عن محمد بن كعب القُرَظيّ= (ز)

٨٣٢٢٠- ومقاتل: أن في الآيتين تقديم وتأخير(٧). (ز)

٨٣٢٢١- قال مقاتل بن سليمان: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) يعني: في رحمتي، (وادْخُلِي) من رحمتي في (جَنَّتِي). نظيرها في (طس) النمل [١٩] قول سليمان بن داود ☐: (وأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالِحِينَ)(٨)٧١٧٣. (ز)

٧١٧٣ زاد ابنُ جرير (٢٤/٣٩٨) في معنى: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) نقلًا عن أهل العربية قولين آخرين، فقال: «وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجِّه معنى قوله: (فادْخُلِي فِي عِبادِي) إلى: فادخلي في حزبي.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأوَّل ذلك: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) بالإيمان، والمصدِّقة بالثواب والبعث (ارْجِعِي)، تقول لهم الملائكة إذا أُعطُوا كُتبهم بأيمانهم: (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) إلى ما أعدَّ الله لكِ من الثواب. قال: وقد يكون أن تقول لهم هذا القولَ ينْوون: ارجِعوا من الدنيا إلى هذا المرجع، قال: وأنتَ تقول للرجل: ممن أنتَ؟ فيقول: مُضَريٌّ. فتقولُ: كن تميميًّا أو قيسيًّا، أي: أنتَ من أحد هذين. فتكون»كن«صلة، كذلك الرجوع يكون صلة؛ لأنه قد صار إلى القيامة، فكان الأمر بمعنى الخبر، كأنه قال: أَيَّتُها النفس، أنتِ راضيةٌ مرضيةٌ».

آثار متعلقة بالآيات

٨٣٢٢٢- عن أبي أُمامة، أنّ رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل: اللهم، إني أسألك نفسًا مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك»(٩). (١٥/٤٢٩)

أخرجه الطبراني في الكبير ٨/٩٩ (٧٤٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/٨٠-٨١ (٣٨٧٣)، ٦٩/١٥٨ (٩٣٤٢).

قال الهيثمي في المجمع ١٠/١٨٠ (١٧٤٠٦): «رواه الطبراني، وفيه مَن لم أعرفه». وقال المناوي في التيسير ٢/١٩٨: «وفيه مجاهيل».

٨٣٢٢٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص -من طريق عبد الرحمن بن السليماني- قال: إذا تُوفِّي العبد المؤمن أرسَل الله سبحانه مَلَكَيْن، وأرسل إليه تحفة مِن الجنّة، فيقال لها: اخرجي -أيتها النفس- المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان وربٍّ عنك راضٍ غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح

مسك وجَده أحدٌ في نفسه قطّ، والملائكة على أرجاء السماء، فيقولون: قد جاء من الأرض روح طيّبة ونسمة طيّبة. فلا يمرّ بباب إلّا فُتح له، ولا مَلَكٌ إلّا صلّى عليه، حتّى يُؤتى به الرحمن، ثمّ تسجد الملائكة، ثمّ يقولون: ربّنا، هذا عبدك فلان تَوفّيته، كان يعبدك لا يُشرك بك شيئًا. فيقول: مُروه فليسجد. فتسجد النّسمة، ثمّ يُدعى ميكائيل، فيقول: اذهب بهذه، فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتّى أسألك عنها يوم القيامة. ثمّ يؤمر، فيوسّع عليه قبره سبعين ذراعًا عرضه، وسبعين ذراعًا طوله، وينبذ له فيه الريحان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه جُعل له نورًا مثل الشمس في قبره، ويكون مثله كمثل العروس، لا يُوقظه إلّا أحبّ أهله إليه، فيقوم من نومته كأنّه لم يشبع منها، وإذا تُوفّي الكافر أرسل الله مَلَكَيْن، وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن مِن كلّ خشن، فيقال: أيّتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى حميم وعذاب أليم، وربّ عليك غضبان(١٠). (ز) أخرجه الثعلبي ١٠/٢٠٣-٢٠٤، وتفسير البغوي ٨/٤٢٤.

٨٣٢٢٤- عن سعيد بن جُبَير، قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم نَر على خِلْقته، فدخل نَعْشه، ثم لم يُر خارجًا منه، فلمّا دُفن تُليتْ هذه الآية على شَفير القبر لا يُدرى مَن تلاها: (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي)(١١). (١٥/٤٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/٤٢٣-، والطبراني (١٠٥٨١).

٨٣٢٢٥- عن عكرمة مولى ابن عباس، مثله(١٢). (١٥/٤٣١).

التفسير المحرر

(كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠).

غريب الكلمات:

دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا: أي: زُلزِلَت الأرضُ، وحُرِّكَت تحريكًا بعدَ تحريكٍ، والدَّكُّ: الكَسرُ والدَّقُّ وحَطُّ المُرتَفِعِ مِنَ الأرضِ بالبَسْطِ، وأصلُ (دكك): يدُلُّ على تَطامُنٍ وانسِطاحٍ .

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ: الوَثاقُ بفتحِ الواوِ اسْمُ مَصْدَرِ أوْثَق، وهو الرَّبْطُ، يقالُ: أَوْثَقْتُه: أي: شددتُه، والوَثاقُ والوِثاقُ: اسمان لِما يُوثَقُ به الشَّيءُ، وأصل (وثق): يدُلُّ على عَقْدٍ وإحْكامٍ .

الْمُطْمَئِنَّةُ: أي: السَّاكِنَةُ الموقِنَةُ بالإيمانِ وتوحيدِ اللهِ، فلا يُخالِطُها شَكٌّ، ولا يَعْتَريها رَيْبٌ، الَّتي اطْمأَنَّتْ إلى وَعْدِ اللهِ، وصدَّقَتْ بما قال، والطُّمَأْنينةُ والاطْمِئنانُ: السُّكونُ بعدَ الانزعاجِ، وأصلُ الطُّمأنينةِ: السُّكونُ .

مشكل الإعراب:

1- قَولُه تعالى: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا

دَكًّا دَكًّا: مَجموعُ المَصدرَينِ في تأويلِ مُفرَدٍ مَنصوبٍ على الحالِ، والمعنى: مُكَرَّرًا عليها الدَّكُّ، كعَلَّمتُه الحِسابَ بابًا بابًا، أي: علَّمتُه الحِسابَ مُفَصَّلًا باعتبارِ أبوابِه. ويجوزُ أن يكونَ دَكًّا الأوَّلُ مَصدرًا مؤكِّدًا لفِعْلِه، ودَكًّا الثَّاني تأكيدًا لفظيًّا للأوَّلِ.

صَفًّا صَفًّا: مَجموعُهما في تأويلِ مُفرَدٍ مَنصوبٍ على الحالِ المفيدةِ للتَّرتيبِ، أي: مُصطَفِّينَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ .

2- قَولُه تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ

عَذَابَهُ مَفعولٌ مُطلَقٌ على معنى التَّشبيهِ، نائِبٌ عن المصدَرِ، وكذا وَثَاقَهُ، والعَذابُ: اسمُ مَصدَرِ عَذَّب، والوَثاقُ: اسمُ مَصدَرِ أوثَقَ، والضَّميرُ فيهما يعودُ على الله تعالى، والمصدَرُ مُضافٌ إلى الفاعِلِ: والمعنى: لا يُعَذِّبُ أحدٌ تعذيبًا مِثلَ تعذيبِ اللهِ هذا الكافِرَ، ولا يُوثِقُ أحدٌ إيثاقًا مِثلَ إيثاقِ اللهِ هذا الكافِرَ؛ في الشِّدَّةِ والمُبالَغةِ، وأَحَدٌ فيهما فاعِلٌ للفِعلِ قَبْلَه.

وقُرِئَ يُعَذَّبُ ... يُوثَقُ بالبناء للمَفعولِ فيهما ، فيكونُ أَحَدٌ فيهما نائِبَ فاعلٍ، والضَّميرُ في عَذَابَهُ... وَثَاقَهُ يعودُ على الإنسانِ الكافِرِ، والمصدَرُ مُضافٌ إلى المفعولِ: والمعنى: لا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِثلَ تعذيبِ هذا الكافِرِ يومَئذٍ، ولا يُوثَقُ أَحَدٌ مِثلَ وَثاقِه، ويجوزُ عَودُ الضَّميرِ كذلك على اللهِ تعالى، والمصدَرُ مُضافٌ إلى الفاعِلِ، كالقراءةِ المتقَدِّمةِ .

المعنى الإجمالي:

يقولُ تعالى مذكِّرًا بأهوالِ الآخرةِ: كَلَّا! فارجِعوا عن انكِبابِكم على الدُّنيا الفانيةِ؛ فإنَّه إذا دُكَّت الأرضُ يومَ القيامةِ، وزُلزِلتْ مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ، يَنهَدِمُ كُلُّ ما عليها، وتُصبِحُ أرضًا مُستويةً، وجاء ربُّك -يا محمَّدُ- إلى المحشَرِ للفَصلِ بيْن عبادِه، وجاءت الملائِكةُ صَفًّا بعدَ صَفٍّ، وجيءَ يومَ القيامةِ بنارِ جَهنَّمَ؛ يَومَ يَتذَكَّرُ الإنسانُ أعمالَه، فلا تَنفَعُه ذِكْراه، ولا يَنفَعُه الإيمانُ والتَّوبةُ لِمَولاه! يَقولُ: يا لَيْتَني قَدَّمْتُ في الدُّنيا أعمالَ الخَيرِ والبِرِّ لحياتي في الآخِرةِ، فيَومَ القيامةِ لا يُعَذِّبُ أحَدٌ في الدُّنيا مِثلَ عَذابِ اللهِ في الآخِرةِ، ولا يُوثِقُ أحَدٌ في الدُّنيا مِثلَ وَثاقِ اللهِ في الآخِرةِ لأهلِ النَّارِ. ثمَّ يختِمُ الله السُّورةَ بهذه البِشارةِ للمؤمنينَ، فيقولُ: يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطمَئِنَّةُ بالإيمانِ، الموقِنةُ باللهِ وبوَعْدِه، ارجِعي إلى رَبِّك راضيةً مَرْضِيَّةً، فادخُلِي في جُملةِ عِبادي الصَّالِحينَ، وادْخُلي جَنَّتي معهم.

تفسير الآيات:

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

أنَّه انتِقالٌ مِن تَهديدِهم بعَذابِ الدُّنيا الَّذي في قولِه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [الفجر: 6] الآياتِ، إلى الوعيدِ بعَذابِ الآخرةِ، فإنِ استَخفُّوا بما حلَّ بالأُمَمِ قبْلَهم أو أُمهِلوا، فأُخِّرَ عنهم العذابُ في الدُّنيا؛ فإنَّ عَذابًا لا مَحيصَ لهم عنه يَنتظِرُهم يومَ القيامةِ حِينَ يَتذكَّرون قسْرًا، فلا يَنفَعُهم التَّذكُّرُ، ويَندَمون وَلاتَ ساعةَ مَندَمٍ .

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21).

أي: ما هكذا ينبغي أن يكونَ الأمرُ؛ فارجِعوا عن انكِبابِكم على الدُّنيا الفانيةِ الَّتي لا يَبقى منها ولا مِن مَتاعِها شَيءٌ؛ فإنَّه إذا وقع دَكُّ الأرضِ يومَ القيامةِ ورَجُّها وزلزلتُها مرَّةً بَعْدَ مرَّةٍ، يَنهَدِمُ كُلُّ ما عليها، وتُصبِحُ أرضًا مُستويةً .

كما قال تعالى: وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [الحاقة: 14-15] .

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22).

أي: وجاء ربُّك -يا محمَّدُ- إلى المحشَرِ لحِسابِ عبادِه والقَضاءِ بيْنَهم مَجيئًا يَليقُ بجلالِه وعَظَمتِه، وجاءت الملائِكةُ صُفوفًا صَفًّا بعدَ صَفٍّ، خاضِعينَ للهِ .

كما قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة: 210].

وقال سُبحانَه: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الزمر: 69] .

وقال عزَّ وجَلَّ: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا [النبأ: 38] .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/384)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (6/166)، ((اجتماع الجيوش الإسلامية)) لابن القيم (2/151)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (10/791)، ((تفسير ابن كثير)) (8/399)، ((تفسير السعدي)) (ص: 924)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص:

199-201). قال ابنُ كثير: (ذلك بَعْدَما يَستشفِعونَ إليه بسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ على الإطلاقِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، بعدَما يَسألونَ أُولي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ واحِدًا بعدَ واحدٍ، فكُلُّهم يقولُ: لستُ بصاحِبِ ذاكم، حتَّى تنتهيَ النَّوبةُ إلى محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيقولُ: «أنا لها، أنا لها». فيذهَبُ فيَشفَعُ عندَ اللهِ في أن يأتيَ لفَصلِ القَضاءِ، فيُشَفِّعُه اللهُ في ذلك [يُنظر: البخاري «7510»، ومسلم «193»]، وهي أوَّلُ الشَّفاعاتِ، وهي المقامُ المحمودُ... فيجيءُ الرَّبُّ تعالى لفَصلِ القَضاءِ كما يشاءُ، والملائكةُ يَجيئونَ بيْن يدَيه صُفوفًا صُفوفًا). ((تفسير ابن كثير)) (8/399). وقال ابنُ عاشور: (صَفًّا الأوَّلُ حالٌ مِنَ المَلَكِ، وصَفًّا الثَّاني لم يختَلِفِ المفَسِّرونَ في أنَّه مِنَ التَّكريرِ المرادِ به التَّرتيبُ والتَّصنيفُ، أي: صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، أو خَلْفَ صَفٍّ، أو صِنفًا مِنَ الملائِكةِ دونَ صِنفٍ). ((تفسير ابن عاشور)) (30/337).

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23).

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ. أي: وجيءَ يومَ القيامةِ بنارِ جَهنَّمَ .

كما قال الله تعالى: وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان: 11-12] .

وعن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((يُؤْتَى بجَهنَّمَ يومَئِذٍ لها سَبْعونَ ألْفَ زِمامٍ ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبعونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها)) .

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى.

أي: في ذلك اليَومِ يَتذَكَّرُ الإنسانُ عِصيانَه وطُغيانَه، وما فاته مِنَ العَمَلِ الصَّالحِ؛ فلا تَنفَعُه ذِكْراه، ولا يَنفَعُه الإيمانُ والتَّوبةُ لِمولاه .

كما قال سبحانه وتعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [الزمر: 56] .

وقال سُبحانَه: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ [النبأ: 40] .

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/390)، ((تفسير السمرقندي)) (3/580)، ((الوسيط)) للواحدي (4/486)، ((تفسير ابن عطية)) (5/481)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/444)، ((تفسير القرطبي)) (20/56)، ((تفسير ابن كثير)) (8/400)، ((تفسير السعدي)) (ص: 924)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 202). ممَّن اختار في الجُملةِ أنَّ المرادَ: يتذَكَّرُ أعمالَه في الدُّنيا وعِصيانَه وطُغْيانَه، وتفريطَه في طاعةِ اللهِ وما يُقَرِّبُ إليه مِنَ العَمَلِ الصَّالحِ: ابنُ جريرٍ، ومَكِّيٌّ، وابنُ عطيَّةَ، وابنُ جُزَي، وابنُ كثيرٍ، والعُلَيميُّ، والقاسميُّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/390)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/8264)، ((تفسير ابن عطية)) (5/481)، ((تفسير ابن جزي)) (2/481)، ((تفسير ابن كثير)) (8/400)، ((تفسير العليمي)) (7/362)، ((تفسير القاسمي)) (9/473). وقيل: المرادُ بقَولِه: يَتَذَكَّرُ أي: يتَّعِظُ ويَتوبُ. وممَّن اختاره: الواحِديُّ، والبَغَويُّ، وابنُ الجَوزيِّ، والخازِنُ. يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (4/486)، ((تفسير البغوي)) (5/252)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/444)، ((تفسير الخازن)) (4/428). وممَّن قال مِنَ السَّلَفِ: إنَّ المرادَ التَّوبةُ: الضَّحَّاكُ. يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (6/271)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (8/512). واقتَصَر السَّمَرْقَنديُّ،

والسَّمْعانيُّ، والنَّسَفِيُّ على تفسيرِ التَّذَكُّرِ بالاتِّعاظِ. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/580)، ((تفسير السمعاني)) (6/222)، ((تفسير النسفي)) (3/641). وقال الشوكاني: (يتذكَّرُ الإنسانُ، أي: يتَّعِظُ ويَذكُرُ ما فَرَط منه، ويَندَمُ على ما قَدَّمَه في الدُّنيا مِنَ الكُفرِ والمعاصي). ((تفسير الشوكاني)) (5/535). وقال ابنُ عثيمين: (يتذَكَّرُ أنَّه وُعِدَ بهذا اليومِ، وأنَّه أُعلِمَ به مِن قِبَلِ الرُّسُلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأُنذِروا وخُوِّفوا، ولكِنْ مَن حَقَّت عليه كَلِمةُ العذابِ فإنَّه لا يُؤمِنُ ولو جاءَتْه كُلُّ آيةٍ). ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 202). وقال ابنُ جُزَي: (والإنسانُ هنا جِنسٌ، وقيل: يعني: عُتْبةَ بنَ رَبيعةَ، وقيل: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ. وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى هذا على حَذْفٍ تقديرُه: أنَّى له الانتِفاعُ بالذِّكْرى، كما تقولُ: نَدِمَ حينَ لم تنفَعْه النَّدامةُ). ((تفسير ابن جزي)) (2/481). ممَّن نَصَّ على أنَّ المرادَ بالإنسانِ هنا الكافِرُ: السمرقنديُّ، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والعُلَيمي. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/580)، ((الوسيط)) للواحدي (4/486)، ((تفسير البغوي)) (5/252)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/444)، ((تفسير العليمي)) (7/362).

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24).

أي: يَقولُ: يا لَيْتَني قَدَّمْتُ في الدُّنيا أعمالَ الخَيرِ والبِرِّ والطَّاعةِ لحياتي الأبَديَّةِ في الآخِرةِ، فألقَى فيها ثَوابَها !

كما قال تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا [الأنعام: 31] .

وقال سُبحانَه: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا [الفرقان: 27] .
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26).

<u>القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ</u>:

1- قِراءةُ: لَا يُعَذَّبُ وَلَا يُوثَقُ بفَتحِ الذَّالِ والثَّاءِ، أي: لا يُعَذَّبُ أحَدٌ مِثلَ عَذابِ هذا الصِّنفِ مِنَ النَّاسِ، وكذا لا يُوثَقُ وَثاقَه أحَدٌ .

2- قِراءةُ: لَا يُعَذِّبُ وَلَا يُوثِقُ بكَسرِ الذَّالِ والثَّاءِ. قيل: المعنى: لا يعذِّبُ أحدٌ في الدُّنيا مِثلَ عَذابِ اللهِ في الآخِرةِ، ولا يُوثِقُ أحدٌ مِثلَ وَثاقِ اللهِ لأهلِ النَّارِ. وقيل: أي: لا يتولَّى يومَ القيامةِ عَذابَ اللهِ أحدٌ غَيْرُه؛ فالمُلْكُ له وَحْدَه، وملائِكةُ العَذابِ يَأتَمِرونَ بأمْرِه في تعذيبِ الكافِرينَ وأَسْرِهم في القُيودِ .

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25).

أي: فيَومَ القيامةِ لا يُعَذِّبُ أحَدٌ في الدُّنيا مِثلَ عَذابِ اللهِ في الآخِرةِ؛ فلا أحَدَ أشَدُّ عَذابًا منه .

كما قال تعالى: وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [طه: 127] .

وقال سُبحانَه: فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ [الغاشية: 24] .

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26).

أي: ولا يُوثِقُ أحَدٌ في الدُّنيا مِثلَ وَثاقِ اللهِ في الآخِرةِ لأهلِ النَّارِ؛ فلا أحَدَ أشَدُّ وَثاقًا منه .

كما قال تعالى: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [غافر: 71-72] .

وقال تعالى: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا [الإنسان: 4] .

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر حالَ مَن كانت هِمَّتُه الدُّنيا فاتَّهم اللهَ في إغنائِه وإفقارِه؛ ذَكَر حالَ مَنِ اطمأنَّت نَفْسُه إلى اللهِ تعالى، فسَلَّم لأمْرِه، واتَّكَل عليه .

وأيضًا لَمَّا استوعَبَ ما اقتَضاهُ المقامُ مِن الوعيدِ والتَّهديدِ والإنذارِ؛ ختَمَ الكلامَ بالبِشارةِ للمؤمنينَ الَّذين تَذكَّروا بالقرآنِ واتَّبَعوا هَدْيَه، على عادةِ القرآنِ في تَعقيبِ النِّذارةِ بالبِشارةِ والعكسِ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يَزيدُ رَغبةَ النَّاسِ في فِعلِ الخَيرِ، ورَهبتَهم مِن أفعالِ الشَّرِّ .

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27).

أي: يُقالُ : يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطمَئِنَّةُ بالإيمانِ، الموقِنةُ باللهِ وبوَعْدِه، الثَّابِتةُ على الحَقِّ .

قال الزَّمخشري: (أي: يقولُ اللهُ للمُؤمِنِ: يا أيَّتُها النَّفْسُ، إمَّا أن يُكَلِّمَه إكرامًا له... أو على لِسانِ مَلَكٍ). ((تفسير الزمخشري)) (4/752).

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/393)، ((الوسيط)) للواحدي (4/486)، ((تفسير ابن عطية)) (5/481)، ((تفسير القرطبي))

((20/57)، ((الروح)) لابن القيم (ص: 93)، ((تفسير ابن كثير)) (8/400)، ((تفسير السعدي)) (ص: 924). قال الزمخشري: (فإنْ قُلْتَ: متى يُقالُ لها ذلك؟ قُلتُ: إمَّا عندَ الموتِ، وإمَّا عندَ البَعثِ، وإمَّا عندَ دُخولِ الجنَّةِ). ((تفسير الزمخشري)) (4/752). وممَّن ذهب إلى أنَّ ذلك يقالُ عندَ البَعثِ: ابنُ جرير، ومكِّيٌّ، والخازنُ، والبِقاعي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/397)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/8267)، ((تفسير الخازن)) (4/428)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/42). وممَّن ذهب إلى أنَّ ذلك يقالُ عندَ الموتِ: الواحِديُّ، وابنُ جُزَي، والعُلَيميُّ، وابنُ عُثَيمين، ونَسَبه ابنُ الجَوزيِّ للأكثَرينَ. يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (4/486)، ((تفسير ابن جزي)) (2/482)، ((تفسير العليمي)) (7/363)، ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: 205)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/444). ومِمَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: الحسَنُ. يُنظر: ((صحيح البخاري)) (6/169). وممَّن قال بكِلا القولَينِ: ابنُ القَيِّمِ، وابنُ كَثيرٍ، والسعديُّ. يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (2/177)، ((تفسير ابن كثير)) (8/400)، ((تفسير السعدي)) (ص: 924). ومِمَّن قال بهذا القَولِ مِنَ السَّلَفِ: زَيدُ بنُ أسلَمَ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/396).

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28).

أي: ارجِعي إلى اللهِ الَّذي ربَّاك بنِعَمِه وفَضْلِه، راضيةً باللهِ وثَوابِه، مَرْضِيَّةً عندَ اللهِ تعالى .

كما قال تعالى: جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [البينة: 8] .

وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ العبدَ المؤمِنَ إذا كان في انقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ بيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَهم الشَّمسُ، معهم كَفَنٌ مِن أكفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجلِسوا مِنه مَدَّ البَصَرِ ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ عليه السَّلامُ حتَّى يَجلِسَ عندَ رَأسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخرُجي إلى مَغفرةٍ مِنَ اللهِ ورِضوانٍ، فتَخرُجُ تَسيلُ كَما تَسيلُ القَطرةُ مِن فِي السِّقاءِ، فيَأخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَأخُذوها فيَجعَلوها في ذَلِك الكَفَنِ وفي ذَلِك الحَنُوطِ، ويَخرُجُ مِنها كأَطيبِ نَفحةِ مِسكٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ، فيَصعَدونَ بِها، فَلا يَمُرُّونَ بها على مَلَأٍ مِنَ الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنتَهوا بها إلى السَّماء الدُّنيا، فيَستَفتِحونَ له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنتَهَى به إلى السَّماءِ السَّابعةِ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: اكتُبوا كِتابَ عَبدي في عِلِّيِّينَ، وأعيدُوه إلى الأَرضِ؛ فإنِّي منها خلَقْتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومِنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى)) .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30).

أي: فادخُلِي في جُملةِ عِبادي الصَّالِحينَ الطَّائِعينَ وفي زُمْرتِهم، وادْخُلي جَنَّتي معهم .

كما قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: 69] .

وقال سُبحانَه وتعالى: وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ [العنكبوت: 9] .

الفوائد التربوية:

1- في قَولِه تعالى: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي دليلٌ على أنَّ الحياةَ الَّتي ينبغي السَّعيُ في أصلِها وكَمالِها، وفي تتميمِ لَذَّاتِها: هي الحياةُ في دارِ القَرارِ؛ فإنَّها دارُ الخُلْدِ والبَقاءِ ، فالحياةُ الحقيقيَّةُ هي حياةُ الآخرةِ، ولذلك يقولُ الكافِرُ يومَ القيامةِ: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي؛ فالحياةُ الدُّنيا ليست حياةً، ووجْهُ ذلك:

أوَّلًا: لأنَّها مُنَغَّصةٌ؛ فكُلُّ صَفْوِها كَدَرٌ.

وثانيًا: أنَّها غيرُ باقيةٍ.

وثالثًا: أنَّ الإنسانَ مُهَدَّدٌ فيها، فلا يدري متى يجيئُه أَجَلُه صُبحًا أو مساءً، وكم مِن إنسانٍ خَرَجَ مِن أهلِه ولم ترجِعْ إلَّا جُثَّتُه! وكم مِن إنسانٍ على كُرسِيِّه فَجَأَه الموتُ، فلم يُكْمِلِ الكتابةَ الَّتي يَخُطُّها بيَمينِه! ولهذا يقولُ الشَّاعرُ:

«لا طِيبَ للعَيشِ ما دامتْ مُنغَّصَةً ...... لَذَّاتُه بادِّكارِ المَوتِ والهَرَمِ»

فمهما طالتْ بك الحياةُ فسوف تَهرَمُ وتَدَعُ هذا العَيشَ الطَّيِّبَ، أو تموتُ فلا تبقى لهذا العَيشِ أصلًا !

2- في قَولِه تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ أنَّه على المسلِمينَ أن يَحذروا عِقابَ اللهِ، ولا يتعَرَّضوا لسَخَطِ اللهِ الموجِبِ لعِقابِه؛ لأنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ عَذابَه أحَدٌ، ولا يُوثِقُ وَثاقَه أحَدٌ .

3- في قَولِه تعالى: وَادْخُلِي جَنَّتِي أضافها اللهُ سُبحانَه إلى نفْسِه؛ للدَّلالةِ على شَرَفِها وعنايةِ اللهِ بها، وهذا يُوجِبُ للإنسانِ أنْ يَرغَبَ فيها غايةَ الرَّغبةِ، كما أنَّه يَرغَبُ في بُيوتِ اللهِ -الَّتي هي المساجدُ-؛ لأنَّ اللهَ أضافَها إلى نفْسِه .

الفوائد العلمية واللطائف:

1- في قَولِه تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا سؤالٌ: أنَّ هذا يُوهِمُ أنَّه مَلَكٌ واحِدٌ، وقَولُه: صَفًّا صَفًّا يقتضي أنَّه غَيرُ مَلَكٍ واحِدٍ، بل صفوفٌ مِن جماعاتِ الملائكةِ؟

الجوابُ: أنَّ قَولَه تعالى: وَالْمَلَكُ معناه: والملائِكةُ، ونظيرُه قَولُه تعالى: وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا [الحاقة: 17] .

2- في قَولِه تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا حُجَّةٌ على المُعتَزِلةِ، وهو نظيرُ قَولِه في سورةِ (البقرةِ): هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ [البقرة: 210] ، وهي حُجَّةٌ خانِقةٌ لهم، شَديدةٌ عليهم . والقاعِدةُ في أسماءِ اللهِ وصِفاتِه: أنَّ كُلَّ ما أسنده اللهُ إلى نَفْسِه فهو له نَفْسِه لا لغَيرِه، فنُجري كلامَ اللهِ تعالى ورَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على ظاهِرِه، ولا

نُحَرِّفُ فيه، وعلى هذا فالَّذي يأتي هو اللهُ عزَّ وجَلَّ، وليس كما حَرَّفه أهلُ التَّعطيلِ؛ حيث قالوا: إنَّه جاء أمرُ اللهِ! فإنَّ هذا إخراجٌ للكلامِ عن ظاهِرِه بلا دَليلٍ، فاللهُ تعالى يجيءُ يومَ القيامةِ هو نَفْسُه، ولكِنْ كيف هذا المجيءُ؟ هذا هو الَّذي لا عِلْمَ لنا به، لا ندري كيف يَجيءُ، والسُّؤالُ عن مِثْلِ هذا بِدْعةٌ، كما قال الإمامُ مالِكٌ رحمه الله .

3- في قَولِه تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا دَلالةٌ على قِيامِ الأفعالِ الاختياريَّةِ باللهِ تعالى .

4- في قَولِه تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا جوازُ إتيانِ الحالِ مِنَ المعطوفِ فقط دونَ المعطوفِ عليه .

5- في قَولِه تعالى: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أنَّ النَّفسَ في القرآنِ قد تُطْلَقُ على الرُّوحِ وَحْدَها .

6- في قَولِه تعالى: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي أنَّ النَّفسَ لا تَرْجِعُ إليه سُبحانَه إلَّا إذا كانت مُطمَئِنَّةً، فهناك ترجِعُ إليه، وتَدخُلُ في عبادِه، وتَدخُلُ جنَّتَه.

بلاغة الآيات:

1- قولُه تعالَى: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي

- كَلَّا ردْعٌ لهم عن الأعمالِ المَعدودةِ قبْلَه، وإنكارٌ لفِعلِهم .

- وقولُه: إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا... استئنافٌ جِيءَ به بطَريقِ الوعيدِ تَعليلًا للرَّدعِ .

- وقولُه: دَكًّا دَكًّا يَجوزُ أنْ يكونَ أوَّلُهما مَنصوبًا على المفعولِ المطلَقِ المُؤكِّدِ لفِعلِه، ولعلَّ تَأكيدَه هنا؛ لأنَّ هذه الآيةَ أوَّلُ آيةٍ ذُكِرَ فيها دكُّ الجِبالِ، وإذ قد كان أمرًا خارقًا للعادةِ، كان المقامُ مُقتضيًا تَحقيقَ وُقوعِه، فأُكِّدَ مَرَّتينِ هنا، ولم يُؤكَّدْ نَظيرُه في قولِه: فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً في سُورةِ الحاقةِ [14]؛ فقولُه: دَكًّا الأوَّلُ مَقصودٌ به تَحقيقُ الوُقوعِ. ودَكًّا الثَّاني مَنصوبٌ على التَّوكيدِ اللَّفظيِّ لـ دَكًّا الأوَّلِ؛ لزِيادةِ تَحقيقِ إرادةِ مَدلولِ الدَّكِّ؛ لأنَّ دكَّ الأرضِ العَظيمةِ أمرٌ عَجيبٌ، فلِغرابتِه اقْتَضى إثباتُه زِيادةَ تَحقيقٍ لمعْناهُ .

ويَجوزُ أنْ يكونَ مَجموعُ المَصدرينِ دَكًّا دَكًّا في تَأويلِ مُفرَدٍ مَنصوبٍ على المفعولِ المُطلَقِ المُبيِّنِ للنَّوعِ، وتَأويلُه: أنَّه دكٌّ يَعقُبُ بَعضُه بعضًا، كما تَقولُ: قرَأتُ الكتابَ بابًا بابًا، والعرَبُ تقولُ الشَّيءَ مرَّتينِ، فتَستوعِبُ تَفصيلَ جِنسِه باعتبارِ المعْنى الَّذي دلَّ عليه لَفظُ المُكرَّرِ، فإذا قلْتَ: بيَّنْتُ له الكتابَ بابًا بابًا، فمعْناه: بيَّنْتُه له مُفصَّلًا باعتبارِ أبوابِه، فالتَّكرارُ للدَّلالةِ على الاستيعابِ وليس للتَّأكيدِ، وهذا الوجْهُ أوْفَى بحقِّ البلاغةِ؛ فإنَّه معْنًى زائدٌ على التَّوكيدِ، والتَّوكيدُ حاصلٌ بالمَصدرِ الأوَّلِ. أو الدَّكُّ كِنايةٌ عن التَّسويةِ؛ لأنَّ التَّسويةَ مِن لَوازمِ الدَّكِّ، أي: صارتِ الجِبالُ مع الأرضِ مُستوياتٍ لم يَبْقَ فيها نُتوءٌ .

- قولُه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا المَلَكُ: اسمُ جِنسٍ، وتَعريفُه تَعريفُ الجِنسِ، فيُرادِفُه الاستغراقُ، أي: والملائكةُ .

- قولُه: صَفًّا صَفًّا ليس للتَّأكيدِ؛ إذِ المرادُ صفًّا بَعْدَ صفٍّ، أي: صفًّا يتلوه صَفٌّ .

- وفي قولِه: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ إنَّما اقتُصِرَ على ذِكرِ جهنَّمَ؛ لأنَّ المقصودَ في هذه السُّورةِ وَعيدُ الَّذين لم يَتذكَّروا، وإلَّا فإنَّ الجنَّةَ أيضًا مُحضَرةٌ يَومَئذٍ؛ قال الله تبارك وتعالَى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ [الشعراء: 90-91] .

- قولُه: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ الأوَّلُ مُتعلِّقٌ بفِعلِ (جِيءَ)، والتَّقديرُ: وجِيءَ يومَ تُدَكُّ الأرضُ دكًّا دكًّا... إلى آخِره، ويَوْمَئِذٍ الثَّاني بدَلٌ مِن إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ، والمعْنى: يومَ تُدَكُّ الأرضُ دكًّا... إلى آخِره، يَتذكَّرُ الإنسانُ، والعاملُ في البدَلِ والمُبدَلِ منه معًا فِعلُ يَتَذَكَّرُ، وتَقديمُه للاهتِمامِ، مع ما في الإطنابِ مِن التَّشويقِ؛ ليَحصُلَ الإجمالُ ثمَّ التَّفصيلُ، مع حُسنِ إعادةِ ما هو بمعْنى (إذا)؛ لزِيادةِ الرَّبطِ؛ لطُولِ الفصْلِ بالجُمَلِ الَّتي أُضِيفَ إليها (إذا) .

- قولُه: يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ الإنسانُ هنا: قيل: هو الإنسانُ الكافرُ، وهو الَّذي تَقدَّمَ ذِكرُه في قولِه تبارك وتعالَى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ [الفجر: 15] الآيةَ، فهو إظهارٌ في مَقامِ الإضمارِ؛ لبُعدِ مَعادِ الضَّميرِ .

- وجُملةُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى مُعترِضةٌ بيْن جُملةِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وجُملةِ يَقُولُ ... إلخ؛ جِيءَ به لتَحقيقِ أنَّه ليس يَتذكَّرُ حَقيقةً؛ لعَرائِه عن الجَدوَى بعدَمِ وُقوعِه في أوانِه .

- ولَفظُ وَأَنَّى اسمُ استِفهامٍ بمعْنى: أيْن له الذِّكرى؟ وهو استِفهامٌ مُستعمَلٌ في الإنكارِ والنَّفيِ .

- قولُه: وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى فيه حذْفُ مُضافٍ، أي: ومِن أينَ له مَنفعةُ الذِّكرى ؟!

- قولُه: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي الجُملةُ بدَلُ اشتِمالٍ مِن جُملةِ يَتَذَكَّرُ.
أو استِئنافٌ وَقَعَ جَوابًا عن سُؤالٍ نَشَأَ منه، كأنَّه قيل: ماذا يقولُ عندَ تَذكُّرِه ؟ فإنَّ جُمْلَةَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي يَجوزُ أنْ يكونَ قولًا باللِّسانِ تحسُّرًا وتَندُّمًا، فتَكونَ الجُملةُ حالًا مِن الْإِنْسَانُ، أو بدَلَ اشتمالٍ مِن جُملةِ يَتَذَكَّرُ؛ فإنَّ تذكُّرَه مُشتمِلٌ على تَحسُّرٍ ونَدامةٍ. ويجوزُ أنْ يكونَ قَولُه في نفْسِه، فتَكونَ الجُملةُ بَيانًا لجُملةِ يَتَذَكَّرُ .
- ومَفعولُ قَدَّمْتُ مَحذوفٌ للإيجازِ .
- يَحتمِلُ أنْ تكونَ اللَّامُ في قولِه: لِحَيَاتِي للعِلَّةِ، أي: قدَّمْتُ الأعمالَ الصالحةَ مِن أجْلِ أنْ أحْيا في هذه الدَّارِ، والمرادُ: الحياةُ الكاملةُ السَّالِمةُ مِن العَذابِ؛ لأنَّ حَياتَهم في العذابِ حَياةُ غِشاوةٍ وغِيابٍ؛ قال تعالى: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا [الأعلى: 13] .
- وحرْفُ النِّداءِ في قولِه: يَا لَيْتَنِي للتَّنبيهِ؛ اهتِمامًا بهذا التَّمنِّي في يومِ وُقوعِه .
2- قولُه تعالَى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ
- المقصودُ مِن الكلامِ هو قولُه: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وقولُه: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [الفجر: 27] ، وأمَّا ما سبَقَ مِن قولِه: إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ إلى قولِه: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ؛ فهو تَوطئةٌ وتَشويقٌ لسَماعِ ما يَجِيءُ بعْدَه، وتَهويلٌ لشَأنِ ذلك اليومِ، وهو الوقتُ الَّذي عُرِّف بإضافةِ جُملةِ دُكَّتِ الْأَرْضُ وما بعْدَها مِن الجُمَلِ، وقد عُرِّفَ بأشراطِ حُلولِه وبما يَقَعُ فيه مِن هَولِ العِقابِ .
- والتَّنوينُ في (يومَئذٍ) عِوَضٌ عن جُملةٍ تُفيدُ ما تَقدَّمَ مِن هَولِ الموقفِ .

- قولُه: أَحَدٌ في الموضعينِ فاعلُ يُعَذِّبُ ويُوثِقُ، وعَذَابَهُ مِن إضافةِ المصدرِ إلى مَفعولِه، والضَّميرُ قيل: هو عائدٌ إلى الإنسانِ في قولِه: يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ، وهو مَفعولٌ مُطلَقٌ مُبيِّنٌ للنَّوعِ على معْنى التَّشبيهِ البليغِ، أي: عَذابًا مِثلَ عَذابِه، وانتفاءُ المُماثلةِ في الشِّدَّةِ، أي: يُعذِّبُ عَذابًا هو أشدُّ عَذابٍ يُعَذِّبُه العُصاةُ، أي: عَذابًا لا نَظيرَ له في أصْنافِ عَذابِ المُعذَّبين. و(أحدٌ) يُستعمَلُ في النَّفيِ لاستغراقِ جِنسِ الإنسانِ، (فأحدٌ) في سِياقِ النَّفيِ يعُمُّ كلَّ أحدٍ؛ فانحصَرَ الأحدُ المُعذِّبُ -بكسْر الذَّالِ- في فرْدٍ، وهو اللهُ تعالَى. وانتصابُ وَثَاقَهُ كانتصابِ عَذَابَهُ على المفعوليَّةِ المُطلَقةِ لمعْنى التَّشبيهِ .

3- قولُه تعالَى: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي

- اتِّصالُ هذه الآيةِ بالآياتِ الَّتي قبْلَها في التِّلاوةِ وكِتابةِ المصحفِ، الأصلُ فيه أنْ تكونَ نَزَلَتْ مع الآياتِ الَّتي قبْلَها في نسَقٍ واحدٍ، وذلك يَقْتضي أنَّ هذا الكلامَ يُقالُ في الآخرةِ؛ فيَجوزُ أنْ يُقالَ يومَ الجَزاءِ، فهو مَقولُ قَولٍ مَحذوفٍ هو جَوابُ (إذا) في إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ [الفجر: 21] الآيةَ، وما بيْنَهما مُستطرَدٌ واعتراضٌ، فهذا قولٌ يَصدُرُ يومَ القِيامةِ مِن جانبِ القُدسِ مِن كَلامِ اللهِ تعالَى، أو مِن كَلامِ الملائكةِ؛ فإنْ كان مِن كَلامِ اللهِ تعالَى، كان قولُه: إِلَى رَبِّكِ إظهارًا في مَقامِ الإضمارِ، بقَرينةِ تَفريعِ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي عليه، ونُكتةُ هذا الإظهارِ ما في وصْفِ (ربّ) مِن الولاءِ والاختصاصِ، وما في إضافتِه إلى ضَميرِ النَّفْسِ المُخاطَبةِ مِن التَّشريفِ لها، وإنْ كان مِن قولِ الملائكةِ فلَفْظُ رَبِّكِ جَرى على مُقْتضى الظَّاهرِ، وعطْفُ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي عطْفُ تَلقينٍ يَصدُرُ مِن كَلامِ اللهِ تعالَى؛ تَحقيقًا لقولِ الملائكةِ:

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ. ويَجوزُ أنْ تكونَ الآيةُ استِئنافًا ابتدائيًّا جَرَى على مُناسَبةِ ذِكرِ عَذابِ الإنسانِ المشرِكِ، فتكونَ خِطابًا مِن اللهِ تعالَى لنُفوسِ المؤمنينَ المُطمئنَّةِ .

- والمُطمئنَّةُ: يجوزُ أنْ يكونَ مِن سُكونِ النَّفْسِ بالتَّصديقِ لِما جاء به القرآنُ دونَ تَردُّدٍ ولا اضطرابِ بالٍ، فيكونَ ثَناءً على هذه النَّفْسِ .

- ووَصْفُ النَّفسِ بالمُطمئنَّةِ ليس وَصْفًا للتَّعريفِ ولا للتَّخصيصِ، أي: لتَمييزِ المُخاطَبينَ بالوصْفِ الَّذي يُميِّزُهم عمَّن عَداهم، فيَعرِفون أنَّهم المُخاطَبونَ المَأْذونونَ بدُخولِ الجنَّةِ؛ لأنَّهم لا يَعرِفون أنَّهم مُطمئنُّونَ إلَّا بعْدَ الإذنِ لهم بدُخولِ الجنَّةِ، فالوصْفُ مُرادٌ به الثَّناءُ، والإيماءُ إلى وَجْهِ بِناءِ الخبَرِ، وتَبشيرُ مَن وُجِّهَ الخِطابُ إليهم بأنَّهم مُطمئنُّونَ آمِنونَ. ويجوزُ أنْ يكونَ للتَّعريفِ، أو التَّخصيصِ بأنْ يَجعَلَ اللهُ إلهامًا في قُلوبِهم يَعرِفون به أنَّهم مُطمئنُّون .

- والأمرُ في ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ مُرادٌ منه تَقييدُه بالحالَينِ بعْدَه؛ وهما رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، وهو مِن استِعمالِ الأمرِ في الوعْدِ. والإضمارُ في قولِه: فِي عِبَادِي وقولِه: جَنَّتِي الْتفاتٌ مِن الغَيبةِ إلى التَّكلُّمِ .

- والرَّاضيةُ: الَّتي رَضِيت بما أُعطِيَتْه مِن كَرامةٍ، وهو كِنايةٌ عن إعطائِها كلَّ ما تَطمَحُ إليه .

- والمَرضيَّةُ: اسمُ مَفعولٍ، وأصْلُه: مَرضيًّا عنها، فوَقَعَ فيه الحذْفُ والإيصالُ ؛ فصار نائبَ فاعلٍ بدونِ حرْفِ الجرِّ، والمقصودُ مِن هذا الوصفِ زِيادةُ الثَّناءِ مع الكِنايةِ عن الزِّيادةِ في إفاضةِ الإنعامِ؛ لأنَّ المَرْضيَّ عنه يَزيدُه الرَّاضي عنه مِن الهِباتِ والعَطايا فوقَ ما رَضِيَ به هو .

- وفُرِّعَ على هذه البُشرَى الإجماليَّةِ تَفصيلُ ذلك بقولِه: فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي، فهو تَفصيلٌ بعْدَ الإجمالِ؛ لتَكريرِ إدْخالِ السُّرورِ على أهْلِها، والمعْنى: ادخُلي في زُمرةِ عِبادي، والمرادُ العِبادُ الصَّالحونَ؛ بقَرينةِ مَقامِ الإضافةِ، مع قَرْنِه بقولِه: جَنَّتِي .

- وإضافةُ (جنَّة) إلى ضَميرِ الجَلالةِ إضافةُ تَشريفٍ، وهذه الإضافةُ هي ممَّا يَزيدُ الالتفاتَ إلى ضَميرِ التَّكلُّمِ حُسنًا بعْدَ طَريقةِ الغَيبةِ بقولِه: ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ .

- وفيه تَكريرُ فِعلِ وَادْخُلِي، حيثُ لم يقلْ: (فادْخُلي جنَّتي في عِبادي)؛ للاهتِمامِ بالدُّخولِ بخُصوصِه؛ تَحقيقًا للمَسَرَّةِ لهم